تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

الميلاد المعاصر للإسلاموفوبيا

د. محمد عمارة

ص 14

لغة الوحي اختيار إلهي

د. محمد أبياط

ص 9

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal almahajjafes@gmail.com www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج 25 رمضان 1437هـ- 01 يوليوز 2016م العدد : 461

افتتاحية

أولوية الاختيار الدعوي في الإصلاح

إن هذا الدين لم يقم إلا على ثلاث ركائز متلاحمة وأصول مُحْكَمة: إيمان وعمل ودعوة إلى الله تعالى. إن هذه الأمة لم تنعم بالعز والتمكين إلا بالارتباط المتين بهذه الأصول، ولن تقوم من جديد إلا بإقامتها والاستقامة عليها:

● فالإيمان هو عمود الدين ومقصد بعثة الأنبياء والمرسلين، وعليه المدار في صلاح الناس أجمعين، ولا قوة لدين الإسلام إلا بقوة الإيمان والعمل، ولا وجود للإيمان والعمل بغير عمل دؤوب للدعاة الحكماء المخلصين. وما انهالت المصائب على الأمة إلا يوم فشا فيها الجهل بحقيقة الدين، وضعف الإيمان، لذلك فلا عودة صحيحة للأمة إلا بإقامة هذا الركن وإقامة ما يلزمه من المقومات.

● أما العمل الصالح، فهو الغاية التي من أجلها أنزل الله تعالى دينه وبعث رسله، فبصلاح العمل يصلح الحال والمآل، ويطيب المعاش والمعاد. والعمل الصالح مقرون بالعلم الصحيح بالله تعالى وبدينه، وثمرة طيبة له، والأعمال على وزان الإيمان. وقد دب في الأمة الفساد في أعمالها لما دب الخلل في إيمانها أولا، ولما فارق العملُ الإيمانَ ثانيا؛ فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بدون إيمان. وكم تحتاج الأمة اليوم إلى الإحسان في الأعمال، مع الله ذي العزة والجلال، ومع الخَلْق في كل مجال.

● أما الدعوة إلى دين الله تعالى بعلم وحلم وحكمة فهي وظيفة رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فبها يلج الدين القلوب، وبها تدين الأمة للخالق علام الغيوب، فلا حياة لدين من غير الدعوة إليه وتعليمه والإعلام به، وما انتشر نور الإسلام وعلا صيته وقويت شوكته إلا يوم جعلت الأمة الدعوة إلى الله تعالى منهج حياتها والشغل الشاغل لأبنائها، ولما تخلّت تدلّت، ودب إليها الخلل، وفسدت الأحوال والأعمال، وانحسر إشعاعها، وقَصُر ذراعها. فالدعوة إلى الله تعالى شرط وجود هذه الأمة، وعلة بقائها، وعنوان صلاحها واستخلافها.

وبناء عليه فالدعوة إلى الله ﷻ يجب أن تشتغل في جبهات ثلاث:

– جبهة الدعوة إلى تصحيح ما فسد من تدين الناس وتحصينه وتحسينه، لأنه هو التخلق الأوَّلي والشرط الضروري للدين في النفوس.

– وجبهة الدعوة إلى تصحيح الأعمال وإصلاح النفوس، إذ العمل بمثابة التحقق في العيان لما تخلق في الوجدان من بذور الإيمان، والعمل هو صاحب الأثر في الواقع نفعا وضرا.

– ثم جبهة الدعوة والبلاغ لأنه إذا كان العمل هو حركة الإيمان في الواقع، فإن الدعوة هي المحرك الذي لا تكون حركة الإيمان والعمل إلا به، بل أثر الإيمان والعمل قوة وضعفا مرتبط بالدعوة إلى الله تعالى طردا وعكسا.

وعليه فلا أمن لهذه الأمة إلا يوم يصير كل أبنائها دعاة عاملين، حاملين لواء الخير كل الخير للناس كل الناس، مبشرين بكل نعمة ودافعين كل شر ونقمة.

وإن الأمة ستكون بخير يوم تستأنف مشروعها الدعوي لربط الناس بالله وحده جل وعلا وبكتابه وبما صح من السنة بعيدا عن كل راية ملونة أو طائفة معينة، ولن يفيد هذا المشروع حق الإفادة إلا يوم ينخرط أبناؤه بإخلاص –كل من موقعه ومستواه وفي حدود مسؤولياته– في الإصلاح والتربية على هدى القرآن وسنة النبي العدنان، والإشعاع بما فيهما من خير وعدل ورحمة.

كما أن الأمة لن تتعافى من داخلها من أمراض التدين المنحرف، ولن تسلم من آفات الفتن المشتعلة إلا بجعلها الاختيار الدعوي أُسَّ الاختيارات، فبه وحده يصلح كل شيء بعده، وتندفع الويلات، وتُجلب المكرمات والخيرات، وهذا الاختيار هو الذي يُحتاج إلى تعزيزه بكل ما هو جدير به وخليق؛ إذ هو الطريق الأقرب والأنسب لكل إصلاح متين وعميق.

وإن الأمة لن تخرج من ضيق الانحسار إلى آفاق الانتشار، ومن ذل الهزيمة والانكسار إلى عز التمكين والاستخلاف والشهادة على الأمم والأمصار إلا باعتماد خطاب دعوي صحيح الأصول قوي الأثر في النفوس والعقول يضيء نوره كل القلوب في كل البلدان والشعوب.

وكم أحسنت الصنع كثير من البلدان الإسلامية اليوم عندما فتحت أبوابها لاستقبال المسلمين وغير المسلمين من المهاجرين والمقهورين والمحرومين، وعندما أرسلت دعاتها لنشر الدين وتكثير سواد المسلمين، وإنه لعملٌ جليلٌ أثرُه طيِّبٌ ثمرُه، يُثنى فيه على المحمود من الموجود، ويُعمل بإخلاص وتضافر المساعي والجهود لتجويد المحصول والتشوف لتحقيق المأمول.

ألا إن حمل همِّ الدعوة ميثاق ثقيل وعمل جليل، وواجب لا يسقط على كل أبناء الأمة في كل عصر وجيل. وكلما سعت الأمة إليه وحرصت عليه ولم تقدم غيره عليه، سلمت من شرور النوازل والوقائع، وارتادت أعلى المراتب والمواقع، وكلما دعت إليه بما حسن من المواعظ والحكمة، انتفعت ونفعت بكل نعمة ورحمة؛ ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

نظرات في سورة القدر

ص 2

العتق من النار في رمضان: موجباته وثمراته

ص 3

رمضان مدرسة للإصلاح الحقيقي

ص 12

العصابات الأكثر تطرفا ضد المسلمين حول العالم

ص 8

الباكالوريا والانتحار!

ص 10

الإناث يسيطرن على هرم أعلى معدلات الباكالوريا بالمغرب

ص 15

نظرات في سورة القدر

د. محمد محتريم

تقديم:

هذه السورة المباركة التي تسمى سورة القدر أو تسمى سورة ليلة القدر كما ورد عند ابن عطية وأبي بكر الجصاص، هي سورة مكية عند أغلب المفسرين. وقد قيل في سبب تسميتها بليلة القدر إنه "نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر على رسول ذي قدر ولأمة ذات قدر" وأيضا أن من فعل الطاعات فيها و أحياها يصبح ذا شرف وقدر.

بيان عام للسورة:

أخبر الله تعالى في افتتاح هذه السورة الكريمة "إنا أنزلناه في ليلة القدر" بأنه هو سبحانه الذي أنزل هذا القرآن المعجز في ليلة القدر وهي الليلة المباركة المذكورة أيضا في قوله تعالى "إنا أنزلناه في ليلة مباركة". جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله: "قال غير واحد: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ" وعبارة ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ تفيد تعظيم هذه الليلة وتفخيم أمرها. قال الخازن: "وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق لخبرها كأنه قال: أي شيء يبلغ علمك بقدرها ومبلغ فضلها!؟".

بعد هذا الافتتاح في السورة والذي يبرز تشريف هذه الليلة وتخصيصها بإنزال كتابه الكريم واجتبائها على سائر الليالي بجعلها الوعاء الزمني الأشرف والأنسب لهذا الحدث العظيم يأتي ذكر بعض الأوجه الأخرى لبيان فضلها والتي لها أهميتها ودلالاتها الكبرى على هذا المعنى:

أولا: "ليلة القدر خير من ألف شهر": أي إن لها من الشرف والفضل ما يربو على ألف شهر، فالعبادة والطاعات وأعمال الخير التي تكون فيها أفضل مما يكون في ألف شهر مما ليس فيه ليلة القدر. قال مجاهد: "عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر".

ثانيا: "تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر": أي يكثر تنزل الملائكة وعلى رأسها عظيمهم وهو جبريل عليه السلام فتنتشر بين السماء والأرض في مهرجان كوني عجيب، تتنزل في هذه الليلة بالبركة والرحمة كما تتنزل عند تلاوة القرآن، وتحف أهل حلق الذكر، وتضع أجنحتها لطلاب العلم النافع رضا بما يفعلون. وفي قوله تعالى: ﴿من كل امر﴾ يعني من أجل كل أمر قدره الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة. أقدار الأفراد والأسر والدول والشعوب والأمم. قال قتادة وغيره: "تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

ثالثا: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾: فهي خير كلها وأمن وسلام من أول يومها إلى طلوع الفجر. تسلم فيها الملائكة في نزولها وعروجها على عباد الله المؤمنين الصائمين القائمين. جاء في التحرير و التنوير : "والسلام: مصدر أو اسم مصدر معناه السلامة" قال تعالى: ﴿يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ ويطلق السلام على التحية والمدحة، وفسر السلام بالخير، والمعنيان حاصلان في هذه الآية، فالسلامة تشمل كل خير لأن الخير سلامة من الشر ومن الأذى فيشمل السلام الغفران وإجزال الثواب واستجابة الدعاء بخير الدنيا والآخرة. والسلام بمعنى التحية والقول الحسن مراد به ثناء الملائكة على أهل ليلة القدر كدأبهم مع أهل الجنة فيما حكاه قوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

ومضات من الهدى المنهاجي في السورة:

أولا: ما مدى تعظيمنا يا أخي لكتاب الله ولهذه الليلة المباركة التي نزل فيها وقد عظمها سبحانه وشرفها في كتابه وسنة نبيه؟ أنا وأنت والأمة جمعاء؟ ما مدى استشعارنا لهذا الاجتباء الرباني والتخصيص الإلهي بإنزال أعظم كتبه في هذه الليلة وتشريفها وتفضيلها على سائر الليالي والأيام والأزمنة. أليس في تخليد هذا الحدث العظيم بهذه السورة المباركة في كتابه العزيز تعليما لأبناء هذه الأمة أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم وهو كما قال الطاهر بن عاشور: "مماثل لما شرع الله لموسى من تفضيل بعض أيام السنين التي توافق أياما حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى قال تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ فينبغي أن تعد ليلة القدر عيد نزول القرآن".

ثانيا: اقترن شهر رمضان المعظم بذكر إنزال القرآن الكريم فيه سواء في آية البقرة التي تنص على نزول القرآن في شهر رمضان في قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ أو آية سورة القدر التي تنص على إنزاله في ليلة القدر ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ مما يفيد أن رمضان هو شهر القرآن بامتياز. ألا ينبغي أن يكون الإقبال عليه في هذا الشهر إقبالا خاصا، تلاوة وتدبرا وحفظا ومدارسة..!؟ فما هو حظك يا أخي من هذا كله خلال هذا الشهر المبارك!؟ وأين أنت ممن قيل فيهم ﴿يتلونه حق تلاوته﴾!؟ فإن كان لك حظ وافر من هذا فهنيئا لك! فقد وفقت وعرفت فالزم. وإن كان غير ذلك، فهذه ليلة القدر حاول أن تستدرك بإحيائها ما يمكن استدراكه.

ثالثا: لعل في إشارة هذه السورة الكريمة إلى نزول الملائكة وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل بالرحمات والبركات وإلقاء التحيات والسلام على المؤمنين الصائمين القائمين ما يفيد الحث على إحياء ليلة القدر في كل سنة اقتداء بهؤلاء الملائكة المقربين ورجاء في الفوز بهذه الخيرات التي خص الله تعالى بها هذه الليلة المباركة. ورد في الموطأ عن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: "إن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر. فهذه مزية وفضل من الله تعالى على هذه الأمة ليست لسواها فاغتنمها أيها الأخ الفاضل بالطاعات والعبادة إحياء لهذه الليلة حتى تدرك من الأجر والفضل في ليلة ما قد يكون أدركه غيرك في الأمم السابقة بطول العمر.

رابعا: حذار أيها الأخ الفاضل أن تكون من المغبونين في هذه الصفقات التجارية الرابحة مع الله تعالى في هذه الليلة المباركة التي تضاعف فيها أجور الأعمال وقيم الأسهم مضاعفة لا تتاح في ليلة أخرى غيرها، وحذار أن تنزل الملائكة يتقدمهم جبريل عليه السلام بالخيرات والبركات والتحيات الطيبات فيجدونك في صف المحرومين من أهل اللهو أو النوم أو الغفلة فتكون ممن ورد في حقه: ﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾.

خامسا: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه).فها هو رسول الله ﷺ النموذج الأعلى والقدوة الحسنة، باختياراجتباء رباني ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ قد تقدمك، فاقتف أثره، وامض و لا تلتفت لمن خلفك. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه، مالا يجتهد في غيرها» (رواه مسلم). وعنها أيضا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل، وأيقظ أهله وجد وشد المئزر» (متفق عليه). فما عزمك، وما حزمك، وما مدى ائتمامك والإمام أمامك!؟

سادسا: وردت نصوص حديثية كثيرة مختلفة في شأن تعيين ليلة القدر. منها ما يفيد أنها في الحادي والعشرون من رمضان، وقيل: تكون ليلة ثلاث وعشرين، وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين. وجزم أبي بن كعب في حديث رواه مسلم في صحيحه أنها ليلة سبع وعشرين. وقيل تسع وعشرون، وقيل غير ذلك، وثبت أيضا في نصوص صحيحة أخرى أمر رسول الله ﷺ بتحريها في العشر الأواخر من رمضان، وفي السبع الأواخر وفي الوتر من العشر الأواخر... ولعل الحكمة في إبهامها كما قال الإمام برهان الدين البقاعي: "ليجتهدوا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة والصلاة الوسطى في الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في سائر الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جمعيها، وقيام الساعة في الأوقات ليجتهدوا في كل لحظة حذرا من قيامها والسر في ذلك أن النفيس لا يوصل إليه إلا باجتهاد عظيم إظهارا لنفاسته وإعظاما للرغبة فيه وإيذانا بالسرور به...".

سابعا: في قوله تعالى ﴿سلام هي﴾ قال العلامة ابن عاشور: "ويجوز أن يراد بالمصدر الأمر، والتقدير: سلموا سلاما، فالمصدر بدل من الفعل وعدل عن نصبه إلى الرفع ليفيد التمكن مثل قوله تعالى: ﴿قالوا سلاما قال سلام﴾ والمعنى: اجعلوها سلاما بينكم، أي لا نزاع ولا خصام، يشير إليه ما في الحديث الصحيح «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة». فهل يا أخي يسلم من حولك من خصوماتك ومنازعاتك، وهل يشعر الخلق عيال الله اتجاهك بالأمن والسلام و الرحمة و المحبة؟ أقرباؤك وجيرانك!؟

إن كل ذي بصيرة يتأمل بعمق في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومقاصد الشريعة الكبرى يدرك أن هذا الدين الحنيف الرباني المصدر والغاية مبني في جوهره على أسس أخلاقية كبيرة: السلام وقيم الأمن والتسامح و الرحمة و المحبة. فأين نحن من هذا فيما يحدث مع الأسى والأسف الشديد في سوريا و اليمن و ليبيا و العراق وغيرها من بلاد المسلمين. ألا قاتل الله كل طائفية و عنصرية وعصبية منتنة بأي عذر وتحت أي شعار. قال ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية» (أخرجه أبو داوود في سننه)، إنها الجاهلية المقيتة في أثواب معاصرة، فيا حسرة على العباد!!

ثامنا: يستحب الإكثار من الدعاء في كل وقت وحين وفي شهر رمضان المبارك خاصة، وفي العشر الأواخر منه بشكل أخص، وفي أيام الوتر منها أكثر. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عَفُو تحب العفو فاعف عني» (رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح).

فأكثر أخي من الدعاء مع الإلحاح فيه، لنفسك وأهلك والأمة جمعاء تكن إن شاء الله من الفائزين.

ختاما أوصي نفسي أولا وأوصيك أخي/أختي ثانيا بوصية أحد العارفين بالله قائلا: "عليك أيها العازم القاصد لإحياء تلك الليلة وإدراكها أن تشمر ذيلك لإحياء عموم الليالي الآتية عليك في أيام حياتك، إذ هي مستمرة فيها، وبالجملة، لا تغفل عن الله في جميع حالاتك حتى تكون عموم لياليك قدرا وخيرا من الدنيا وما فيها".

---

1 – الدخان 3.
2 – صحيح تفسير ابن كثير 664/4 دار الفوائد ودار ابن رجب.
3 – صفوة التفاسير 585/3 دار القلم.
4 – صفوة التفاسير 585/3.
5 – الدخان 4.
6 – التحرير والتنوير 465/12.
7 – ن م 462/12.
8 – البقرة 183.
9 – الموطأ 202 دار الرشاد الحديثة.
10 – الأحزاب 21.
11 – [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 492/8 دار الكتب العلمية لبنان].
12 – [التحرير والتنوير 465/12].

العتق من النار في رمضان: موجباته وثمراته

ذ. محمد البخاري

> قال ﷺ: «إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة»
> (رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث 2169).

إن أهم ما يسعى إليه الصائم في رمضان هو النجاة من النار والفوز بالجنة، وقد اجتمع في رمضان من العوامل التي تساعد الصائم على نيل هذا الفضل العظيم ما تفرق في غيره؛ فرمضان شهر الرحمة، وشهر المغفرة، وهو أيضا شهر العتق من النار، فكيف نستطيع الفوز بهذا العتق؟ وما آثار ذلك على سلوك المسلم؟

أولا: من موجبات العتق من النار:

وضع الشارع أسبابا كثيرة للعتق من النار رحمة بعباده، وسأقتصر هنا على ما ورد في الحديث وهو أمران:

1 - تحقيق عبودية الصيام:

تضمن الحديث الموجب الأول للعتق من النار فقال ﷺ: «إنّ لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة» من رمضان كما جاء في رواية أخرى، مما يؤكد فضل هذا الشهر الذي جعله الله فرصة للمذنبين لكي ينجوا بأنفسهم من العذاب، وقد صرحت رواية ابن مسعود رضي الله عنه بعدد العتقاء من النار، ونصها: «... ولله ﷻ عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفا، فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفا» (شعب الإيمان، البيهقي). قال المنذري: "وهو حديث حسن لا بأس به في المتابعات"(2). وحدد حديث آخر الزمن الذي يحصل فيه العتق وذلك عند الفطر، قال ﷺ: «إن لله عند كل فطر عتقاء» (رواه أحمد).

ويستفاد مما سبق؛ أن رمضان شهر يكثر فيه العتق من النار، وأن الطريق مفتوح لكل صائم ليدخل في زمرة العتقاء شريطة تحقيق عبودية الصيام، فالعبد في رمضان بصيامه، وقيامه، وذكره لله ﷻ، ومساهمته في فعل الخير، قد يبعد نفسه عن النار، ويقربها من النعيم، والكثير من الصائمين ولله الحمد يستفيدون من هذه الفرصة؛ فيجعلون شهر رمضان منعطف الصلاح والفلاح في سيرتهم، فيغيرون مجرى حياتهم من المعاصي والآثام إلى الاستقامة والعمل الصالح، فيبتعدون عن التدخين، والخمر، والقمار، ويواظبون على أداء الصلاة في وقتها ولم يكونوا قبل رمضان من المصلين أصلا، ويؤيد هذا المعنى قوله ﷺ: «الصوم جنة يَستجن بها العبد من النار» (المعجم الكبير، الطبراني).

وقد جعل الله تعالى الصوم بصفة عامة وسيلة شرعية عملية يلجأ إليها المسلم في بعض الحالات لأداء ما في ذمته من ديون مستحقة لله ﷻ، فشرع الصوم كفارة ليمين الحانث عند العجز، يبرئ به ذمته أمام الله ﷻ، وجعل الصيام أيضا بديلا عن عتق الرقبة في دية القتل الخطأ، وفي كفار الظهار، قال تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾ (النساء: 92). وقال أيضا في كفارة الظهار: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ (المجادلة، 3 – 4).

فالصوم وسيلة شرعية لإخلاء الذمة، وهو بذلك طريق إلى النجاة من النار، فهو عتق في الدنيا، وعتق في الآخرة.

2 - اجتناب مفسدات الصيام:

يفهم من الحديث أن العتيق من النار في رمضان هو الذي يصوم ابتغاء وجه الله فقط، ويؤكد هذا المراد ما جاء في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي» (صحيح البخاري). فالصيام عبادة سرية تكون بين العبد وربه، وفيها يظهر الإخلاص لله أكثر من غيرها؛ لأن الصائم يمتنع عن كل ما يرغب فيه من الملذات مع قدراته على إتيانها خوفا من الله ﷻ، ولعل هذا هو السر في إضافة الصيام لله ﷻ دون سائر العبادات، قال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه؛ ولهذا قال في الحديث يدع شهوته من أجلي (2).

فالصائم بإمكانه أن يصوم ما شاء الله من الأيام دون أن يعرف أحد بذلك، كما يمكنه أن يأكل في نهار رمضان دون أن يعرف بذلك أحد، لهذا كان الصيام عبادة بين المرء وربه، ولهذا اختصه الله بالإضافة إليه، وبهذا الاختصاص كان جزاء الصوم من عند الله لا يعلمه أحد. قال ﷻ "وأنا أجزي به".

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير (3). وإذا كان جزاء الصائم بينه وبين الله ﷻ بحسب إخلاصه في صيامه، فإن العتق من النار هو جزء من ذلك الجزاء الذي لا يقدر؛ لأن العتق درجات، والجنة مقامات، قال سفيان بن عُيينَة: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله، حتى لا يبقى له إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة (4).

وعليه؛ فإن إخلاص الصيام لله تعالى هو الذي جعل الصائم يتبوأ هذه المكانة الرفيعة، وأن الصوم إذا كان لأغراض أخرى كالحفاظ على رشاقة البدن، أو لعلاج بعض الأمراض، أو للتظاهر بكثرة الصوم أمام الناس، أو لكون الصوم عادة الناس في رمضان، فهو صوم باطل شرعا، وليس لصاحبه إلا الجوع والعطش، وبسبب هذا الاختلال في القصد لا يزال المجتمع الإسلامي يعاني من ظواهر اقتصادية واجتماعية كثيرة من المفروض أن تختفي في رمضان، مثل غلاء الأسعار، واحتكار البضائع، والميل إلى الخمول وقلة الإنتاج، وانتشار البرامج الإعلامية السفيهة التي تتعارض مع مقاصد الصيام، وتنتهك حرمة شهر رمضان.

ثانيا: من ثمرات العتق من النار في رمضان:

من خلال الحديث يمكن استخلاص النتيجتين التاليتين:

1 - قبول دعاء العتيق:

أشار النبي ﷺ بقوله: «لكل عبد منهم دعوة مستجابة» إلى ثمرة العتق من النار في رمضان، وهذا فضل آخر يحصل عليه الصائم بعد نعمة العتق، فالله يسمع دعوته ويستجيب له. ولاشك أن الدعاء عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ويعترف من خلاله بضعفه وعجزه بين يدي الله ﷻ، فيطلب من الله العون، وكشف الضر، ودوام العافية، فيستجيب الله للداعي؛ لأنه صائم عتيق صار من أصحاب الجنة، ويؤكد هذه النتيجة قوله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر..» (سنن الترمذي).

فالمسلم يشعر عند الدعاء أنه أمام الله ﷻ، ويحضر قلبه، ويدعوا بآداب وإلحاح، ويكثر من الاستغفار، ويقلع عن الذنوب؛ لأنه يناجي ربه بغير واسطة، والله سميع بصير يعلم أحوال الداعي، وقصده، وحاجاته، فلا يغفل الداعي عن ذلك أو يشك في تلك الحقيقة اليقينية، قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» (سنن الترمذي).

إن الصائم العتيق مستجاب الدعاء، فليختر في دعائه النعم التي لا تزول، قال ﷺ: «ما سأل رجل مسلم الله الجنة ثلاثا إلا قالت الجنة: "اللهم أدخله الجنة"، و لا استجار رجل مسلم الله من النار ثلاثا إلا قالت النار: "اللهم أجره منِّي"» (مسند أحمد). وليوطن نفسه على كثرة النوافل التي تقربه من الله، وليحرص على أن يتضرع لله عند الإفطار لقوله ﷺ: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد». سنن ابن ماجه. ومن أجل دوام نعمة استجابة الدعاء للعتيق، عليه أن يكثر من شكر الله على ذلك، عن طريق العمل الصالح والمواظبة على خشية الله ﷻ في السر والعلانية.

2 - استقامة العتيق على فعل الخير:

من ثمرات العتق من النار في رمضان؛ أن العتيق يراجع حاله ويعود إلى رشده؛ لأن الله ﷻ حرم جسده على النار، وصار من أهل الجنة، فهو قد وُفق للابتعاد عن الشر والعصيان، وأخذ بيده ليكون من أهل الفضل والإحسان، وهذا المقام يحتاج من العتيق إلى مجاهدة النفس، ومساعدة غيره من العصاة ليعرفهم على رحمة الله ولطفه بعباده لعل الله يهدي به غيره.

ومن أهم وسائل استمرار العتيق على صلاح الحال بعد رمضان، إقامة شعائر الله في وقتها، وعلى رأسها الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولعل من أهم الأمارات الدالة على أن الصائم أعتق من النار هو مواظبته بعد رمضان على طاعة الله ﷻ، وهذا واقع مشاهد؛ فكثير من الناس يأتيهم رمضان وهم على أعمال الشر، فيخلصون الصيام لله، ويكثرون من القيام، والدعاء، وقراءة القران، فيودعهم رمضان وقد ابتعدوا عن جميع مستنقعات الفحش والرذيلة؛ لأن الله كتب لهم أن يكونون من العتقاء قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (محمد: 17).

فالعتق من النار يعني أولا وأخيرا أن الأمة الإسلامية ودعت رمضان بالحصول على أفراد مصلحين قادرين على بناء مجتمع يعبد الله فيه بإخلاص، وتعمر الأرض فيه بالخيرات؛ لأن وجود الصالحين المصلحين من لوازمه عمارة الأرض، ووجود الفاسدين المفسدين من لوازمه فساد الأرض.

---

1 – الترغيب والترهيب، زكي الدين المنذري، دار الكتب العلمية، ط1، 1417، ج2، ص 64

2 – مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، بنارس الهند، ط2، 1404 هـ، ج6، ص 407.

3 – المصدر نفسه،ج6، ص: 407.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة	المدير المؤسس	المدير المسؤول	مسؤول الإخراج	الموقع الالكتروني : البريد الالكتروني :	عنوان المراسلة :	الإيداع القانوني : 1994-61 رقم الصحافة : 91/11 الترقيم الدولي : 1113-3627	الطبع : إكوبرانت التوزيع : سابريس
	ذ. المفضل فلواتي	د. عبد العلي حجيج	رشيد صدقي	www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com	حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب الهاتف : 0535931113 الناسوخ : 0535944454		

الرسول ﷺ في رمضان (2/2)

د. يوسف العلوي

دعاؤه عند الفطر:

روى أبو داود، والنسائي، والدارقطني وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أفطر، قال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى».

وروى الإمام أحمد، والنسائي، عن أنس قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند أهل بيت قال: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة».

كيف كان سحوره ﷺ:

روى الإمام أحمد والنسائي عن عبد الله بن الحارث، عن رجل من الصحابة، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يتسحر، فقال: «إن السحور بركة، أعطاكم الله إياها، فلا تدعوها».

وروى أبو الحسن بن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرنا معشر الأنبياء أن نؤخر سحورنا».

وروى الإمام أحمد، وابن ماجة، والشيخان، والترمذي والنسائي عن أنس عن زيد بن ثابت قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قال أنس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين آية».

زيادته ﷺ في فعل الخير في رمضان:

روى الطبراني والبزار، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما "أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل". وروى الإمام أحمد، ومسلم عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره".

وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه القرآن، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة".

هذه الأحاديث العظيمة تجلي آثار القرآن والصيام في رمضان: لا شك أن آثار هذه العبادة كانت كثيرة عليه ﷺ، لكن حبر الأمة ابن عباس لاحظ نمو خلق الجود والسخاء فيه ﷺ، ذلك أن الدنيا هانت عليه في رمضان أكثر من أي شهر آخر-ولم تكن الدنيا تساوي في عيني ﷺ جناح بعوضة- وتعلق قلبه بالآخرة فسعى لها سعيها.

واستفادة من حال رسول الله ﷺ نقول: إن من زكت أخلاقه في رمضان؛ فجاد بالمال والعلم والصلة والوقت والجهد... في سبيل الله، فذلك المقتدي بالنبي ﷺ، ومن داوم عليها فقد هدي إلى السنة.

قيامه ﷺ في شهر رمضان وتركه ذلك ظاهرا خوف فرضه على الأمة:

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قيام رسول الله ﷺ في رمضان قالت: "ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة".

وروى الشيخان، وأبو داود، عنها "أن رسول الله ﷺ خرج في جوف الليل فصلى في المسجد، وذلك في رمضان فصلى بصلاته ناس، فأصبح الناس يذكرون ذلك، ثم صلى من المقابلة، فكثر الناس. ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة، فلم يخرج" وفي رواية للشيخين: "أنه خرج فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم، فلما أصبح ذكر ذلك للناس، فقال: «إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل»".

وروى أبو يعلى، وابن حبان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ في شهر رمضان ثمان ركعات وأوتر فلما كانت الليلة القابلة اجتمعنا في المسجد، ورجونا أن يخرج إلينا فلم نزل فيه حتى أصبحنا، ثم دخلنا فقلنا: يا رسول الله اجتمعنا في المسجد، ورجونا أن تصلي، فقال: «إني خشيت أو كرهت أن تكتب عليكم»".

إن الحبيب عليه الصلاة والسلام يطيق ما لا يطيق غيره، لذلك لم يصل بالصحابة "التراويح" رحمة بالأمة حتى لا تفرض عليهم، لكن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه جمع الناس عليه بعد أن كانوا يقومون فرادى، وعين لذلك أئمة من قراء المسلمين، فسار الناس عليها إلى اليوم.

جهاده ﷺ في رمضان:

إذا كان الجهاد: جهاد النفس بحثّها على الطاعات، وجهاد الشيطان بإغلاق أبواب الوسوسة في وجهه ومخالفته، يتحقق بأجلى صوره في رمضان، فإن ذلك طريق موطئة لجهاد العدو، لذلك فلا عجب أن تقع أعظم الغزوات في رمضان، وهي غزوة بدر، ويقع أعظم الفتوح في رمضان وهو فتح مكة.

اعتكافه ﷺ وشدة اجتهاده في العشر الأخير من رمضان وتحريه ليلة القدر:

من منهاج رسول الله ﷺ في تربيته التدرج، والنمو وعدم التقهقر، فتراه يزيد ولا ينقص، من ذلك أنه كلما تقدمت به أيام رمضان ولياليه ازداد تقربا إلى الله تعالى، فسن سنة الاعتكاف في العشر الأواخر منه، بل لما كانت السنة التي توفي فيها عليه الصلاة والسلام اعتكف عشرين ليلة. وتذكر بعض الروايات أنه اعتكف قبل فرض الصيام عليه وهو في مكة، وكان يحرص على إشراك أهله في هذا الأجر، لما يعلم من فضله، والاعتكاف تبتل وانقطاع شبه تام عن الدنيا، وتفرغ كامل لعبادة الله تعالى، وتقلل من الأكل حتى يجعل عشاءه سحورا، وتجنب تام للشهوات، وخلو للأنس بالله عز وجل، وتلاوة للقرآن وصلاة وذكر وإحسان، وعروج في مدارج السالكين إلى الله تعالى... روى الطيالسي، والحارث بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها "أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهرا فوافق ذلك رمضان".

وروى الجماعة عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأخير من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشدّ المئزر".

وروى الإمام أحمد، والشيخان عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله".

وروى الإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما".

وروى مسلم، وابن ماجة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبّة تركيّة على سدّتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحّاها في ناحية القبّة، ثم أطلع رأسه فكلم الناس، فدنوا منه فقال: «إني كنت أعتكف العشر الأول التمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» ، فاعتكف الناس معه، قال: «وإني أريتها ليلة وتر وإنّي أسجد في صبيحتها في طين وماء، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين». وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد، فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاة الصّبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر».

لقد صام رسول الله ﷺ 9 رمضانات في حياته:

1 – أول رمضان صامه عليه السلام، كان في العام الثاني للهجرة، خرج في يومه 8 أو 12 إلى غزوة بدر الكبرى، ووقعت الغزوة في اليوم 17 منه، ولم يرجع إلى المدينة إلا بعد انقضائه أو قريب. هكذا ارتبط رمضان عند أول فرض الصيام فيه بالغزو والنصر.

2 – ثاني رمضان صامه ﷺ بالمدينة، كانت بعده مباشرة غزوة أحد.

3 – ثالث رمضان صامه ﷺ، في العام الرابع للهجرة، خرج إلى غزوة بدر الثانية أو بدر الموعد، التي طلبها أبو سفيان يوم أحد، لكنه خاف ولم يأت، فسار الرسول ﷺ إليها وظل بها أسبوعا ينتظر جيش قريش فلم يأت، فرجع المسلمون إلى المدينة.

4 – رابع رمضان صامه الحبيب عليه السلام بالمدينة.

5 – خامس رمضان صامه الحبيب ﷺ في العام السادس للهجرة، أرسل سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى يثرب مستخبرا، وأرسل سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى أم قرفة، وهي امرأة خطيرة كانت تقاتل المسلمين وتحرض عليهم، وكانت من أعز نساء العرب، فقتلها زيد وفرق جمعها.

6 – سادس رمضان صامه عليه السلام، أرسل فيه سرية عبد الله بن غالب إلى الميفعة وهي ناحية من نجد.

7 – سابع رمضان صامه رضي الله عنه، في العام 8 للهجرة، خرج في اليوم العاشر منه إلى مكة، ووصلها في اليوم العشرين، وقد صام في بعض الطريق ثم أفطر حين اقترب من مكة وأمر أصحابه بأن يفطروا. وبقي بمكة يدبر الأمور طيلة رمضان ومطلع شوال، ثم خرج إلى حنين. وفي مقامه بمكة كسر أصنام قريش، وبعث خالد بن الوليد لهدم العزى وكانت بالطائف، كما بعث عمرو بن العاص لهدم سواع صنم هذيل، وبعث سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه لهدم مناة. وهذه طواغيت الشرك حطمها الإسلام في شهر القرآن.

8 – ثامن رمضان صامه الحبيب ﷺ، في العام التاسع للهجرة، خرج قبله إلى غزوة تبوك، وأدركه رمضان في طريق عودته منصورا إلى المدينة، وفيه قدمت عليه عدة وفود مبايعة منها: وفد ثقيف ووفد ملوك حمير من اليمن.

9 – تاسع رمضان صامه الحبيب ﷺ كان في العام العاشر للهجرة صامه بالمدينة النبوية، وقدمت عليه وفود أخر منها وفد غسان وبجيلة وغامد، وفيه أرسل الرسول ﷺ سرية علي بن أبي طالب إلى بعض نواحي اليمن.

يتضح مما سبق أن الرسول ﷺ لم يصم شهر رمضان كاملا بالمدينة إلا 5 مرات: في الأعوام الثالث والخامس والسادس والسابع والعاشر، بينما خرج فيه غازيا، أو أدركه وهو قافل من الغزو 4 مرات، وفي الأعوام التي لم يكن يزو فيها بنفسه، كان يرسل السرايا من أصحابه رضي الله عنهم، حتى لا يكاد يخلو رمضان من الغزو.

خلاصة:

رمضان موسم سنوي للاحتفال بالقرآن، يحبس المؤمن فيه شهواته الجسدية ليفسح المجال لروح البدن لتتصل بروح القرآن، فتأنس بها إذ هما معا من أمر الله، إنه موسم الأرواح وليس موسم الأشباح، والروح إذ تنفك من قيود الأرض فتزكو النفوس، يهون عليها البذل في سبيل الله.

أوشك رمضان على الرحيل
فمن الرابح ومن الخاسر؟

الخطبة الأولى:

وبعد:

فيا عباد الله: إنَّ بلوغ رمضان لنعمةٌ عظمى ومِنحةٌ كبرى، لا يقدرها حق قدرها إلا الموفَّقون، فلقد كنّا بالأمس القريب نتشوق للقائه، ثم -ولله الحمد- تنعمنا ببهائه، وعشنا في نفحاته لحظات مرَّت مرور الطيف، ولمعت لمعان البرق.

يخرج المسلم منها بصفحة مشرقة بيضاء ناصعة، مفعمَة بفضائل الخصال، مبرأةً من سيئات الأعمال، قد استلهم الصائم الصادق المحتسب من مدرسة رمضان قوَّةَ الإرادة والعزيمة على كل خير، وتقوى الله في كل حين، تقويمًا للسلوك، وتزكية للنفوس، وتنقيةً للسرائر، وإصلاحًا للضمائر، وتمسُّكًا بالخيرات والفضائل، وبُعدًا عن القبائح والرذائل؛ فيغدو الصوم لنفسه حصنًا حصينًا من الذنوب والمآثم، وحمى مباحًا للمحاسن والمكارم، فصفتْ روحه، ورقَّ قلبه، وصلحتْ نفسه، وتهذَّبتْ أخلاقه.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد قال ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» (رواه أحمد وصححه الألباني).

أما من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، فيمضى ليالي رمضان المباركة في لهو ومعصية، ونهاره في نوم وغفلة، لا يرعَ للشهر حرمته، ويتجرأ على الحرمات، فليبكِ لعظيم حسراته، وليسعَ لاستدراك ما فاته؛ لئلا يكون ممن قال فيه ﷺ: «أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عليه السلام فقال: يَا مُحَمَّدُ، رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ آمِينَ...».

فهنيئًا لمن أحسنَ استقباله... هنيئًا لمن أكرم وفادته.. هنيئًا لمن قام ليله وصام نهاره.. هنيئًا لمن أقبل فيه على الله بقلبه وجوارحه.. هنيئًا لمن تقرب إلى الله فيه بأعمال صالحة.. وكفَّ النفس عن سيئات قبيحة.. هنيئًا لمن أدرك ليلة القدر وأحياها بالقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن إيمانا واحتسابا.. هنيئًا لمن تاب الله عليه، ورضي عنه، وأعتقه من النار في رمضان، وآه على شخص أدرك رمضان ولم يغفر الله له!!.. واحسرتاه على أناس دخل رمضان وخرج، وهم في غيهم يعمهون!.. وخلف الشهوات يلهثون!.. وفي القربات مفرطون ومقصرون!! يقضون لياليهم أمام الفضائيات يتتبعون المباريات الكروية، ومن الغالب والمغلوب ونسوا أنهم مغلوبون على أمرهم باستسلامهم لشهوات أنفسهم. ويا حسرتاه على أناس يقضون ليالي رمضان أمام المسلسلات والأفلام والمهرجانات الغنائية، وبعد ذلك يقضون سائر أيامهم في النوم إلى ساعات متأخرة من النهار.

أفلا يحق لنا أن نبكي على فراق شهرنا الكريم ولياليه الزاهرة، وساعاته العطرة.. التي ولَّتْ مدبرة، وتتابعت مسرعة، فكانت سجلَّات مطويَّة، وخزائن مغلقة، حافظةً لما أودعناها، شاهدةً لنا أو علينا، لا يُدرَى من الرابح فيها فيهنى، ولا الخاسر منا فيُعزَّى.. حتى ينادي الله بنا يوم القيامة: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (رواه مسلم).

فها هو رمضان آذن بوداع، والعيد على إقبال بإسراع. يقول شاعر متأثرا برحيل رمضان:

يَا رَاحِلاً وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُهُ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَتَّفِقُ
مَا أَنْصَفَتْكَ دُمُوعِي وَهْيَ دَامِيَةٌ
وَلاَ وَفَى لَكَ قَلْبِي وَهْوَ يَحْتَرِقُ

فيا من صفَتْ له الأوقات في شهر الخيرات، وعمَّر ساعاته بالصالحات، وزكَّى نفسه بالطاعات، وفاضت عينُه بالعبرات، قد زال عنه تعب القيام وجوع الصيام وثبت له الأجر والثواب -إن شاء الله تعالى-، احمد الله! واذكر نعمة ربك القائل: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 21).

واجتهد فيما بقي من حياتك، ولا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. قال ﷺ: «يَا عَبْدَاللهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».

فأنت لا تدري هل قبل الله عملك أو ردَّه عليك؟

روى الترمذي عن عبد الرحمن بن سعيد أن عائشة رضي الله عنها قالت: "سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (المؤمنون: 60)؛ فقلتُ: "أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟" قال: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ».

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "لو أعلم أن الله تقبل مني ركعتين؛ لتمنيت الموت بعدها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:27).

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: "أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمّ أيقبل منهم أم لا؟" وقال ابن رجب: "كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقول: صدقتم، ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملاً، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟!"

إخواني: إنه وإن انْقَضَى شهرُ رمضانَ فإن عمل المؤمن لا ينقضي قبْلَ الموت، قال الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: 99)، وقال النبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ العَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ» فلم يَجْعلْ لانقطاع العمَل غايةً إلا الموت.

ولقد فقه سلفنا الصالحون عن الله أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا، ومصيرها إلى الآخرة، فاستوحشوا من فتنتها، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وتناءت قلوبهم من مطامعها، وارتفعت همتهم عن السفاسف؛ فلا تراهم إلا صوامين قوامين، باكين عابدين، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة، تشي بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات، وهاك طرفًا من عباراتهم وعباداتهم، التي تدل على تشميرهم وعزيمتهم وهمتهم:

قال الحسن: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره"، وقال وهيب بن الورد: "إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل"، وقال الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان التركستاني: "ما بلغني عن أحد من الناس أنه تعبد عبادة إلا تعبدت نظيرها وزدت عليه"

وكان أبو مسلم الخولاني يقول: "أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟! كلا والله.. لَنُزاحمَنَّهم عليه زحامًا؛ حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً".

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن لهذه القلوب إقبالاً وإدبارًا، فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض".

فيا عجبًا لإنسان عاقل يعود إلى مرارة المعصية بعد أن ذاق حلاوة الطاعة!!

فلئن انقضى صيامُ شهر رمضانَ فإن المؤمنَ لن ينقطعَ من عبادة الصيام والقيام والصدقة والذكر وتلاوة القرآن؛ فصيامُ ستٍّ من شوالٍ بعد رمضانَ كصيام الدهر.. وكذلك صيام ثلاثة أيام من كل شهرٍ؛ فقافلة العمَل الصالح التي لا تتوقَّف رحالها، ولا تتصرم حبالها، فطاعة الله هي الطريق إلى رضاه، و الاستكثار من العبادة يحوِّلُ الأشقياءَ إلى سعداءَ، وتجلب محبة الله لعبده والدفاعِ عنه إذا أصابه من غير الله مكروه.

والمداومة على الأعمال الصالحة تُطهِّر القلوبَ، وتزكّي الأنفسَ، وتُهذب الأرواحَ، وتُريح الأبدانَ، وتُسعدُ العبدَ في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية:

أيها المؤمنون والمؤمنات: قال الله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾. وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». فطوبى لمن نال فيها سبق الفائزين، وسلك فيها بالقيام والعمل الصالح سبيل الصالحين، وويل لمن طرد في هذه الليلة عن الأبواب، وأغلق فيها دونه الحجاب، وانصرفت عنه هذه الليلة وهو مشغول بالمعاصي والآثام، مخدوع بالآمال والأحلام، مضيع لخير الليالي وأفضل الأيام، فيا عظم حسرته ويا شدة ندامته. ويا حسرة من قام ليلة القدر في السهر في المهرجانات الموسيقية والرقص والغناء وطلي الحناء في جو من الاختلاط والمجون والفجور في مساجد الشيطان في الشوارع والأزقة دون إحياء هذه الليلة بالقيام والصلوات والذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ودون احترام لحقوق الجوار أو حقوق المارة في الطرقات والشوارع والأزقة. أهكذا نحيي ليلة القدر؟ وهل بهذه الأمور نتقرب إلى الله تعالى؟ إننا مذنبون ومخطئون، المفرط والساكت عن الحق في هذا الأمر سواء. إذا لم نقم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما في هذا الأمر من خطر شديد على الجميع عواقبه وخيمة تتجلى في تمييع وانحراف، تدين الأمة وتفسيخ أخلاقها وتربيتها وفساد عقيدتها، وقتل قيمها، وبالتالي نشر الرذيلة والفسق والمجون وتطبيع الناس بهذه الأمور وكأنها ليس فيها مشكل، بل هي الطامة الكبرى حينئذ.

فيا أيها المسلم: اتق الله تعالى وانتبه لما يحاك ضدك من قبل دعاة نشر الرذيلة والميوعة وشيوع الشر في الأمة مهما كان مصدر ذلك، ومهما كان من دعا إليه، وحذاري أن ترضي شهوتك وتسخط الله رب العالمين، وخاصة في مثل هذه الليلة العظيمة المباركة. يا مَن كنت تصوم وتقوم في وقت واحد مع سائر المسلمين في سائر أنحاء الدنيا، إياك أن تتخلّى عن الإحساس بانتمائك إلى هذه الأمّة الواحدة، وتذكر تلك الطفلة اليتيمة.. والأرملة الكسيرة.. والشيخ العاجز.. وشاركهم في مآسيهم بدعوة صادقة أو صدقة جارية، واجعل فرحة هذا العيد المبارك تعم أرجاء عالمنا الإسلامي لا أريد منك أن تحزن يوم الفرح، ولا تحرم نفسك طيبات ما أحلّ الله؛ لكن كما أدخلت السرور على أهلك ونفسك بالجديد من اللباس والتوسعة في المال، فهلا سعيت لإدخال السرور على أسر أخرى، قد كبلتهم الديون، وأسرتهم الحاجات، لم يبوحوا بسرهم إلا لله.. ولو أسرة واحدة، فها هي طرق الخير مشرعة أبوابها، فهلموا إليها.. وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا...

د. عبد اللطيف احميد

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام

قال الله تعالى: ﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات: 10).

يقول الطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى: "الجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة، وجيء بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم في حال الإخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين. ولما كان المتعارف بين الناس أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين لزم بقية الإخوة أن يتناهضوا لإزاحتها، فكذلك شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين، وجب أن ينهض سائرهم، إلى أن يرقعوا ما وهى، وما أصاب ودهى" (التحرير والتنوير ج26، ص: 244).

وقال تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: 2)، ومناسبة الآية للباب هي هجر المسلم لأخيه المسلم مدة طويلة كسفك دمه والعدوان عليه، ولهذا جاء في الباب عن أبي خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي ويقال: السلمي الصحابي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» (رواه أبو داود بإسناد صحيح).

قال الطيبي رحمه الله تعالى: "مهاجرة الأخ المسلم سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها، فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها لا أنها مثله في العقوبة، لأن القتل كبيرة شبيهة الهجران به تأكيدا في المنع عنه. وفي المشابهة يكفي المساواة في بعض الصفات" (شرح المشكاة ج 9، ص: 248).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (متفق عليه).

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "تضمن الحديث تحريم بغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعي، والحسد له على ما أنعم به عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، وأن لا ينقب عن معايبه، ولا فرق في ذالك بين حاضر وغائب، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذالك".

«وكونوا عباد الله إخوانا» قال الطيبي: "يعني مستوون في كونهم عباد الله تعالى، وملتهم ملة واحدة فالتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم، فالواجب عليكم أن تكونوا إخوانا متواصلين متآلفين كقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال: فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (متفق عليه).

لمسات بيانية في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف: 30).

قال ابن القيم رحمه الله في بيان ما اشتملت عليه هذه الآية من وجوه بيانية: "هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر.

أحدها: قولهن: "امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا"، ولم يسموها باسمها، بلْ ذَكروهَا بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بَعْل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها، وكبيرها. وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حرّ. وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت. بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: أنها هي المراودة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ، حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا: أنه أعفّ منها وأبر، وأوفى، حيث كانت هي المراودة الطالبة، وهو الممتنع، عفافا وكرما وحياء. وهذا غاية الذمّ لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالا واستقبالا، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها. وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفا، وفلان يقري الضيف ويطعم الطعام، ويحمل الكلّ. فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

التاسع: قولهن إنَّا لَنَراها في ضَلال مُبين أي إنا لنستقبح منها ذلك غايةً الاستقباح. فنسبن الاستقباح إليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضا على الهوى ولا يكدن يرين ذلك قبيحا، كما يساعد الرجال بعضهم بعضا على ذلك، فحيث استقبحن منها ذلك كان هذا دليلا على أنه من أقبح الأمور، وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه، ولا يحسن معاونتها عليه.

العاشر: أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط، والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها، ولا في طلبها. أما العشق فقولهن قَدْ شَغَفَها حُبًّا؛ أي وصل حبه إلى شغاف قلبها. وأما الطلب المفرط فقولهن تُراوِدُ فَتاها والمراودة: الطلب مرة بعد مرة فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة.

فلما سمعت بهذا المكر منهن، هيأت لهن مَكرا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن، وخبأت يوسف عليه السلام عنهن. وقيل: إنها جملته، وألبسته أحسن ما تقدر عليه، وأخرجته عليهن فجأة. فلم يرعهنّ إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذلك المنظر البهي. وفي أيديهن مُدًى يقطعن بها ما يأكلن، فدهش حتى قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن.

إعداد:
أ.د. عبد الرحيم الرحموني

قيمة الحياة الإنسانية في الإسلام

لم يحتفل دين بقيمة الحياة الإنسانية مثلما احتفل بها الإسلام، ولذلك جعل القرآن الكريم قتل نفس بشرية واحدة بمثابة قتل للناس جميعا؛ فقال تعالى: ﴿ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾، وفي المقابل جعل إحياء نفس واحدة بمثابة إحياء للإنسانية جميعا ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾، بل إن القرآن الكريم ارتقى في حفاظه على الحياة البشرية إلى حد أن جعل من حفظ النفس مقصدا من بين المقاصد الضرورية التي جاء الإسلام من أجل لضمانها وتحقيقها. ولذلك شرع الإسلام من العقوبات ما هو كفيل بالمحافظة على النفس البشرية من كل انتهاك يلحقها.

فشرع القصاص في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾، وقد ذهب العلماء في تفسير هذه الآية إلى أن القصاص يعتبر حياة للنفوس باعتبار أن القاتل إذا علم أنه يقتص منه يكف عن القتل؛ أي أن القصاص -كما أشار إلى ذلك القرطبي- إذا أقيم وتحقق الحكم فيه، ازدجر من يريد قتل آخر مخافة أن يقتص منه؛ فحييا بذلك معا. وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما؛ وتقاتلوا وكان ذلك داعيا إلى قتل العدد الكثير، فلما شرع الله القصاص قنع الكل به وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة. (الجامع لأحكام القرآن ج 2/ ص256).

وإذا انتقلنا من القرآن الكريم إلى السنة النبوية، فإننا نجد الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري يقول: «إن المؤمن لا يزال في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما»، ومن أحسن الأقوال التي وقفت عليها في هذا السياق ما نقله ابن حجر في فتح الباري عن ابن العربي أنه قال: "الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول". (فتح الباري ج 12ص 188). ففي الحديث إشارة إلى أن المرء يصير في ضيق بسبب ذنبه، وفيه إشارة أيضا إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور، ولم يفت ابن حجر وهو بصدد شرحه لهذا الحديث أن يشير إلى أن بعض السلف من الصحابة كابن عمر رضي الله عنهما قد ذهب إلى أنه ليس للقاتل توبة (فتح الباري 12/188) وإن كان القول الصحيح في هذه المسألة ما كان عليه عامة السلف وجمهور العلماء أن للقاتل توبة كغيره من أهل المعاصي... لأن الله تعالى يقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (للمزيد انظر مدونة الفقه المالكي وأدلته ج 4 ص 464-467).

وفي حديث نبوي شريف آخر جعل الرسول ﷺ الإقدام على قتل النفس التي حرم الله بغير وجه حق من السبع الموبقات -أي المهلكات- التي يجب على المسلم اجتنابها.

وعلى العموم فإن الأحاديث النبوية الشريفة التي ترفع من قيمة الحياة والنفس الإنسانية وعدم الإقدام على إتلافها بدون وجه حق كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها وما ذلك إلا لأن الحياة من التصور الإسلامي تعتبر أقدس رأس مال يملكه الإنسان على الإطلاق!

وفي الأخير يمكن أن نختم بحديثين جليلين:

أما الأول فقد أخرجه النسائي وفيه يقول الرسول ﷺ: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» (النسائي الحديث رقم 3987).

وأما الحديث الثاني فقد أخرجه ابن ماجه وأسوقه هنا نقلا عن المنذري في الترغيب والترهيب وفيه: "أن عبد الله ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك: ماله ودمه" (الترغيب والترهيب الحديث رقم 3722.

بعد كل هذه النصوص الشرعية التي سقناها لاشك أن المتأمل في المشهد الإسلامي الراهن يأخذه العجب من هذه المفارقة العجيبة بين نصوص الوحي المؤسسة لهذا الدين والتي تقدس حرمة النفس البشرية وسلوكات بعض من يزعمون الانتماء إلى الإسلام ممن يقدمون على إتلاف الحياة بأدنى سبب أو بدون وجه حق مما يجعله يتساءل: متى يحسن المسلمون الحياة في سبيل الله...؟

محمد منديل

صيام ست من شوال

ورد في صيام ست من شوال بعد رمضان حديثان اثنان:

أولهما رواه الأئمة مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر»، وفي رواية: «فكأنما صام الدهر».

والحديث الثاني رواه الأئمة ابن ماجة، والنسائي، وأحمد، والدارقطني، والبزار عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ (الأنعام: 6-160)».

ويدل الحديثان على استحباب صيام الست من شوال بعد رمضان. غير أن للأئمة أقوالا في الموضوع:

فغير المالكية يرون أن صيامها مستحب مندوب إليه، وأنها تؤدى متتابعة وغير متتابعة، وأن ثوابها يحصل للصائم ولو صامها قضاء أو نذرا أو غير ذلك؛ ومنهم من يرى أن الأفضل صومها متتابعة عقب يوم العيد.

وأما الإمام مالك فيرى صيامها مكروهاً، وقد قال في الموطأ: "إني لم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وأن يُلحق برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة والجفاء لو رأوا في ذلك خفته عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك"؛ قال الإمام القرافي: "إن الذي خشي مالك رحمه الله تعالى قد وقع بالعجم فصاروا يتركون المسحَّرين على عادتهم والقوانين وشعائر رمضان إلى آخر الستّة أيام فحينئذ يظهرون شعائر العيد".

ويرى الإمام القرافي أن الصيام يستحب في العشر الأول من ذي الحجة لا في شهر شوال، وقال إن تخصيص شوال بالذكر في الحديث إنما هو للتخفيف، حيث إن الناس اعتادوا الصيام قبله، لا لأن الصيام فيه أفضل منه في غيره.

ورأى الإمام الشوكاني في رأي المالكية مخالفة لنص الحديث؛ غير أن فقهاء المذهب تكلموا في رواية حديث أبي أيوب الأنصاري الذي هو أصل سنية هذا الصيام، فقالوا: إن في سلسلة رواته سعداً بنَ سعيد وهو ممن لا يحتمل الانفراد بمثل هذا؛ فلما ورد الحديث على مثل هذا ووجد مالكٌ علماء المدينة منكرين العمل به احتاط بتركه. وعلل الإمام المازري، وهو من شيوخ المذهب، فتوى الإمام مالك باحتمال أن الحديث لم يبلغه أو لم يثبت عنده وإنما وجد العمل على خلافه.

فصيام الست من شوال عندنا نحن المالكية يكره لكن بأربعة قيود:

- أن يصومها متصلة،
- وأن يصلها الصائم بالعيد،
- وأن يعتقد أنها سنة ملحقة برمضان كالرواتب البعدية،
- وأن يظهرها من يقتدى به؛

ففي هذه الأحوال يكون صيامها مكروها. أما إذا انتفت القيود، بأن يكون صيامها متفرقا ومتأخراً عن العيد، ولم يُعتَقَد وجوبُها وأُخفيَ صيامُها، رفعت الكراهة وكان الصيام مستحبا، يقول الإمام المازري، وهو أيضا من أعيان المذهب: "وأما صومها على ما أراده الشرع فجائز".

العلامة رضوان بنشقرون

العبادة والتعبد والعبودية في ضوء المنهجية الإسلامية (4/3)

د. أحمد زايد

تناولنا في المقال السابق أفقا من آفاق منهج التعبد في الإسلام وهو "العبادة الخاصة"، وفي هذا المقال نعرج على أفق آخر من آفاق التعبد وهو:

"عبادات القلوب أفضل من عبادات الجوارح"

لكل جارحة عباداتها العملية المطلوبة شرعا كالصلاة والجهاد والنفقة وتحريك اللسان بالذكر وإطلاق النظر في الملكوت لرؤية صنع الله تعالى، والسعي بالأرجل إلى المساجد، وفي قضاء حوائج الناس...إلخ، وللقلب عباداته كذلك من الإخلاص لله تعالى والخوف منه والرضا عنه والثقة فيه والتوكل عليه ومحبته وإجلاله وتقديسه سبحانه... إلخ.

لكن هل يستوي هذان النوعان من العمل التعبدي عند الله تعالى؟.

الجواب: لا يستويان. وقد قال الأستاذ حسن البنا رحمه الله: "والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب". ومع كون تحصيل الكمال في كلا العملين مطلوب شرعا إلا أن عمل القلب أهم وأزكى، والله تعالى لا ينظر إلى صور الناس ولا يقيم لها وزنا متى خلت قلوبهم من تعبداتها المطلوبة، وقد رأينا البعض يكثر من أعمال الجوارح ويحرص عليها في حين يهمل تعبدات القلوب، ولا شك أن هذا قصور بالغ في فهم معنى التعبد والعبودية لله تعالى، ففي صحيح مسلم: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، وقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ (المنافقون: 4) فمع كمال أجسامهم وظهور آثار النعم عليهم، إلا أنهم في الدرك الأسفل من النار لخلو قلوبهم من معاني التعبدات، مع كونهم يمارسون تعبدات الظاهر من الصلاة والخروج إلى الجهاد.

ومن أفضل الكلمات التي وقفت عليها كلمة ابن أبي جمرة الأندلسي رحمه الله: "وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أُتيَ على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك". وهذا والله هو الفقه بعينه، فما قيمة أعمال ظاهرة وإن كانت كثيرة كبيرة فهي خالية من روح الإخلاص وحسن القصد.

ولهذا المعنى كان السلف يستعيذون بالله تعالى من خشوع النفاق، فقد نسب إلى غير واحد هذا القول: "أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع"، ومن هنا تتفاضل مثلا صلوات الناس حتى يكون ما بين صلاة الرجل وصلاة أخيه كما بين السماء والأرض بسبب وجود الخشوع وانعدامه أو ضعفه.

إن هذا التفاوت والتفاضل في رتب العبادات يحتم على المتعبد أن يبحث في هذا الفقه الدقيق المنجي من عذاب الله يوم الدين، حتى لا يغرق في تعبدات ظاهرة خاوية من روح الإخلاص والخشوع، ولا يُستهلك في سعي ظاهر فاقد لمعاني الباطن من التوكل والمحبة والرضا والإخبات لرب الأرض والسماوات.

ولما كانت الأعمال متفاوتة الأفضلية نص العلماء على أن العاقل ليس من يعرف الخير من الشر فقط؛ بل العقل كله معرفة خير الخيرين وشر الشرين، يعني إدارك مقدار التفاوت بين الأفضليات والعناية بأعلاهما، وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فصلا ماتعا في الجزء العشرين من فتاويه بعنوان: "فصل جامع في تعارض الحسنات، أو السيئات، أو هما جميعا"، كما حرص تلميذه ابن القيم على تبيان تلك المعاني في غير ما مصنف له، ومن أبدع التصنيفات في هذه المسألة تصنيفات العز بن عبد السلام في "شجرة المعارف" وفي "قواعد الأحكام" ومختصره "القواعد الصغرى".

ونستأنس في هذه المسألة بشيء من كلام هؤلاء الأعلام:

كلمة لابن تيمية رحمه الله تعالى:

في تعليقه على حديث البغيِّ التي سقت كلبا فغفر الله لها يقول: "فالأعمال تتفاضل بتفاضُل ما في القلوب من الإيمان والإجلال".

كلمة للعز بن عبد السلام رحمه الله:

في مفتتح كتابه "شجرة المعارف" فصل في القربات يقول: "فنبدأ بإصلاح القلوب فإنها منبع كل إحسان وكل إثم وعدوان، فإن القلب إذا صلح بالمعرفة والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والإذعان، وإذا فسد القلب بالجهل والكفران فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان".

كلمة لابن القيم رحمه الله:

"وعمل القلب: كالمحبة له (يعني لله) والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره، والرضى به عنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع، والإخبات إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة".

ومن كلماته كذلك: "أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبَعٌ ومُكمِّلة، فمعرفة أحكام القلوب أهمُّ من معرفة أحكام الجوارح".

لم يكن هذا الفقه قاصرا على كلام هؤلاء، وإنما رأيناه لدى كافة الراسخين في العلم والتعبد من الأولين والآخرين، حيث فقهوا ذلك من نصوص الوحي الشريف، فالله تعالى يقول: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: 89)، وفي السنة الشريفة: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

فعلى السالكين طريق القرب والعروج إلى الله تعالى أن يولوا أعمال القلوب أولوية، ويحاولوا جهدهم بلوغ الكمال المستطاع في كل من عمل القلب والجارحة، إذ تحصيل الكمال في كليهما مطلوب من قبل الشرع الحنيف. وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

من تنفعه الذكرى

من الملاحظ أن الحراك الدعوي يشهد نشاطا وتوسعا في المجتمعات العربية اليوم، وأن الساحة تزدحم بكم هائل من الكتب الدينية والبرامج الدعوية، والمجلات والصحف والصفحات والمواقع الإسلامية، وعدد كبير من المحاضرات والندوات التي تصب في نفس المجال. إلا أن السؤال الذي يتبادر في مقابل ذلك هو: **لماذا نرى أن نسبة الانتفاع والتأثر بهذه المجهودات ضعيفة إلى حد ما؟ وهذا يجر إلى سؤال آخر هو: كيف تؤثر الموعظة في المتلقي؟ أو: من تنفعه الذكرى؟.**

إن الجواب عن سؤالنا هذا صرح به القرآن الكريم في قول المولى جل شأنه: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾ (الذاريات: 55).

إن الأمر الموجه إلى النبي ﷺ -ومن ثم إلى جميع المسلمين- هو القيام بمهمة التذكير، والتذكير فعلا وتلقيا يشمل الجميع، ولكن الانتفاع والاتعاظ مقصور على المؤمنين، إذن فمن هو المؤمن المقصود في الآية؟

تحيلنا الآية الكريمة على آيات أخرى تتعلق بذات الموضوع، منها قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق: 37)، لمن كان له قلب؟!.. كلنا لنا قلب!.. لا تستعجل، فالقلب المراد هنا: القلب الحي البصير، غير الأعمى المغشي عليه، قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: 46).

وكيف تعمى القلوب؟ إنها تعمى عندما تعلوها الغشاوة، ويحفها الران، وتحجبها أستار وظلم المعاصي عن إبصار نور الهدى وإدراك الحق، قال تعالى: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (المطففين: 14).

صحيح أن هذه الآيات والنصوص مبثوثة في الكتاب العزيز هنا وهناك، إلا أنه لو نظرنا إليها كوحدة موضوعية لوجدناها تحلل الموضوع تحليلا دقيقا شاملا، مبينة مراحل العمى وما بعده وما قبله، تنطلق من أصل المشكلة ومنشأ المعضلة، لتمر بنا عبر مراحل تطور الداء وتفاقمه، انتهاء بالمآل الحتمي، ألا وهو طمس القلب وموته، والذي يعني بالضرورة عدم انتفاعهم بالذكرى:

- حياة الفطرة: إيمان وطاعة، وقلوب نقية تقية؛ تعرف وتنكر، ولَمَمٌ ثم توبة، حالة الخيرية التي قال عنها الحق سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: 110). وحياة الإحسان التي قال عنها الحق سبحانه: ﴿ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم﴾ (النجم: 31 -32).

- الإقبال على اجتراح الخطايا وكسب السيئات، ثم التمادي وعدم الأوبة والتوبة. وعلى مثلهم يصدق قول الحق جل وعلا: ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ (الأعراف: 176).

- الران والنكت ثم الطبع والعمى، قال جل شأنه: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (المطففين: 14)، وقال أيضا: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: 46).

- عدم الانتفاع: قال تعالى: ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾ (الصافات: 13).

- تأليه الهوى والضياع التام، قال سبحانه وتعالى: ﴿أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾ (الجاثية: 23).

وهكذا يكون القلب أبيض نقيا شفافا، يسهل عليه أن يستضيء بأنوار الهدى وقناديل الإيمان، وأن يتنسم العبير المنبعث من رياض الطاعات فيحتذيه حتى يردها فيقطف من ثمارها وخيراتها، ولكن الإنسان المجبول على النقص والخطأ قد يزل أحيانا ويقترف بعض المعاصي، وكلما اجترح معصية نكتت في قلبه نكتة سوداء، وأوصدت نافذة من نوافذ الخير، فإن تاب وآب إلى ربه وأقلع عن غيه مستغفرا نادما طهر قلبه، ومحيت نكته، وعاد أبيض وأنقى، شفافا يخترقه ضياء الإيمان، فينير أرجاءه لاتباع الصراط القويم، وإن تمادى في العصيان وأقام على الاغتراف من نهر السيئات والآثام؛ تراكمت النكت على قلبه وتكدست، وعلاه الدرن، ظلمات بعضها فوق بعض، فلا يبصر ضياء، ولا تنفعه ذكرى ولا موعظة، وأنى لها أن تنفذ إلى جلمد صلد لا يخشع ولا يلين؟! ذلك مصداق حديث رسول الله ﷺ إذ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُربَادّاً، كالكُوزِ مُجَخِّيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلاَّ ما أشرب من هواه»، (مسلم: 231).

وهكذا يتضح لنا بجلاء أن الذي تنفعه الذكرى وتنعكس بركتها على مختلف شعب حياته إنما هو المؤمن التواب الأواب، الذي نقى قلبه من أدران الذنوب بذرف الدموع مستغفرا نادما، ثم أقبل على الذكرى والموعظة، وألقى سمعه ووعيه بقلب شهيد حاضر، وشعاره في ذلك سمعنا وأطعنا، ودعاؤه: ربنا اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إنه (المنتفع بالموعظة) لا يأتي من دون إعداد وتحضير قلبي، لا يتوجه للموعظة وهو يعلم أن قلبه قابع تحت ركام الذنوب، لا يحضر من أجل اقتناص الهفوات واتباع الزلات... إنه من أتى ليؤمن ساعة وليتفقه في دين الله، وليتعلم شيئا جديدا أو يجدد العهد بأمر مضى فيعمل به ويثبت عليه. أولئك الذين تنفعهم الذكرى وأولئك هم المهتدون.

ذ. عبد الرفيع أحنبن

العصابات الأكثر تطرفا ضد المسلمين حول العالم

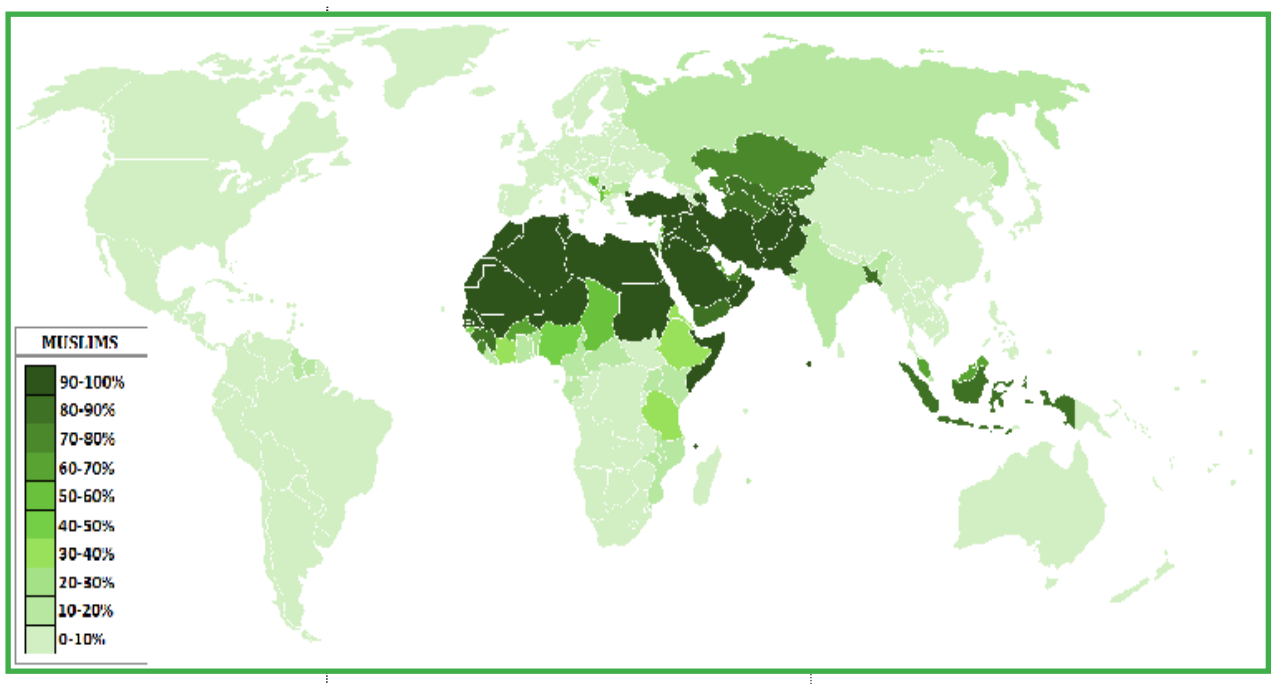

يتعرّض المسلمون في الدول التي يمثلون فيها أقلية للاضطهاد والتمييز العنصري، ويجدون معاملة متطرفة لا تلقى أي اهتمام عالمي على المستويين الحقوقي والإنساني، على الرغم من كل التعاطف الدولي الذي شهدته الدول الأوروبية التي تعرضت لهجمات إرهابية مؤخرا، وهو ما يلقى انتقادا وغضبا من الناشطين العرب والمسلمين في مواقع التواصل الاجتماعي.

وخلافا لما يحظى به تنظيم الدولة من دعاية وتغطية إعلامية واهتماما دوليا، يواجه المسلمون في دول عدة عصابات ومليشيات وجماعات تقوم باضطهادهم وممارسة القتل والتعذيب بحقهم، لكنها لم تحظ إلا باهتمام قليل إعلاميا وحقوقيا.

وتلقى أقليات مسلمة في دول عدة أصنافا متعددة من الانتهاكات، ومن هذه الأقليات كماعرضها موقع "عربي21":

- أقلية الأويغور المسلمة في الصين.
- مسلمو "الروهينغا" في ميانمار (بورما) وأراكان.
- حركة "سيليكا" المسلمة في أفريقيا الوسطى.
- أقلية "المادوره" المسلمة في أندونيسيا.
- مسلمو "مورو" في الفلبين.
- مسلمو "تشام" في فيتنام
- أقلية "تتار" القرم المسلمة.

ويعاني المسلمون من مذابح وكثير من الاضطهاد في الدول التالية على يد عصابات عدة، بحسب ما تابعته "عربي21":

أفريقيا الوسطى.. مليشيا "أنتي بلاكا":

لم تحظ قضية المسلمين في أفريقيا الوسطى بالقدر الكافي من الاهتمام الدولي على الرغم من الانتقادات الحقوقية من منظمات حقوق الإنسان، جراء ما يلقاه المسلمون على يد مليشيا "أنتي بالاكا" المسيحية، التي وصفت أعمالها منظمة العفو الدولية (أمنستي) بأنها عبارة عن عملية "تطهير عرقي".

وتعني "أنتي بالاكا" مكافحة المنجل أو "مكافحة السيف" في اللغات المحلية، وهي مليشيا مسيحية تشكلت في جمهورية أفريقيا الوسطى بعد أن صعد المسلم ميشيل جوتوديا إلى السلطة.

وبحسب ما ذكرته منظمة "هيومن رايتس ووتش"، فإن القرى المسلمة شهدت مجازر بشعة، حيث ذبح مسلحو أنتي بالاكا المتطرفون عشرات السكان المسلمين.

وتقوم هذه المليشيا بانتهاكاتها ضد المسلمين قبل استقالة أول رئيس مسلم في البلاد وبعدها، بضغوط محلية ودولية، لتسفر عمليات العنف عن سقوط مئات القتلى من المسلمين وتشريد مئات الآلاف منهم، في البلد البالغ تعداد سكانه 4.5 ملايين نسمة، بحسب ما تداولته الصحف الأجنبية.

ونشرت صحيفة "لوموند" الفرنسية تقريرا حول الانتهاكات التي يتعرض لها مسلمو أفريقيا الوسطى على يد "أنتي بالاكا"، جاء فيه أن هذه المجموعات المسلحة تستهدف النساء بشكل خاص، وتمارس كل أنواع الانتهاكات؛ دون أن تخضع لأي محاسبة أو تتبع.

ويتهم سكان بلدة "بانغوي" في أفريقيا الوسطى الجنود الفرنسيين بالتواطؤ مع "أنتي بلاكا" في قتل المسلمين.

سيرلنكا.. "نمور التاميل" الهندوسيين:

أفادت تقارير إعلامية قليلة بتعرض المسلمين في سريلانكا لعمليات إبادة وتطهير عرقي لدفعهم إلى مغادرة وطنهم، حيث تقود مليشيا نمور التاميل منذ فترة طويلة مجازر جماعية ضد المسلمين في البلاد، تحت سمع وبصر ورعاية السلطات الرسمية.

وتصنف هذه المليشيا على قائمة المنظمات الإرهابية، وتعد الجهة غير الحكومية الوحيدة على مستوى العالم التي تمتلك قوة جوية، وتتكون القوة الجوية للحركة من خمس طائرات خفيفة.

ووفق ما تداوله ناشطون حقوقيون في "تويتر"، فإن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تجاهلوا تماما مجاز التاميل ضد المسلمين منذ قيادتهم حوارا في البلاد في 2002.

وتعرض المسلمون عبر تاريخ هذه الدولة للقتل،وقضى المئات من المسلمين نحبهم،وتعرضت نساؤهم للاغتصاب، وقامت مليشيا التاميل بذبح الأئمة، وقتلت 168 من الحجاج الذين كانوا في طريق عودتهم إلى منازلهم. واشتهرت هجماتهم على المصلين في المساجد.

ويقرب عدد مسلمي سريلانكا مليوني شخص، وتواجه حكومة البلاد وجيشها حربا شعواء مع متمردي التاميل.

وتأسست حركة نمور التاميل "إيلام" عام 1976م، كرد فعل من قبل التاميل هندوسيي الديانة للاعتراف بحقوقهم كأقلية عقب قيام سريلانكا عام 1972، باعتماد الديانة البوذية دينا رئيسا للبلاد.

أندونيسيا.. قبيلة "الدایاك" الوثنية:

ارتكبت قبيلة "الدایاك" الوثنية مجزرة مروعة في أندونيسيا ضد مسلمي "المادوره" الأقلية في البلاد، عام 1999، وما زالوا يمارسون الانتهاكات بحقهم.

وعلى الرغم من ضخامة المجزرة التي راح ضحيتها نحو حوالي 3 آلاف مسلم، بحسب تقارير لم تؤكد صحة الرقم، إلا أن الحكومة الأندونيسية لم تفعل شيئا يذكر لإيقافها.

وبعد عامين من المجزرة، عاودت قبيلة الدایاك، القيام بواحدة أخرى ضد المسلمين، راح ضحيتها نحو 500 مسلم، ودفعت إلى تهجير نحو 100 ألف من منازلهم، إضافة إلى قطع رؤوس نحو 100 مسلم بينهم أطفال ونساء.

الجدير بالذكر، أن الأرقام والمعطيات المذكورة يصعب التوثق منها لقلة التقارير والتغطية الإعلامية المهتمة بهذا الشأن، إلا أن هناك صورا كثيرة تداولها ناشطون قالوا إنها توثق لانتهاكات هذه المليشيات، ولم يتسن التأكد منها.

كشمير.. أسرة "دونمرا":

تحظى أسرة "الدونمرا" الهندوسية في كشمير، بدعم من بريطانيا، وعرف عنها معاداتها للإسلام، وقبل استقلال الهند، قتل الهندوس في كشمير في أشهر عدة 5 آلاف مسلم، وجرحوا 6 آلاف آخرين، وسجنوا 12 ألفا، وهذا أعطى باكستان حينها حق التدخل لحماية المسلمين.

وأراد المسلمون في كشمير بحسب ما كتبه المؤخرون، الانضمام إلى باكستان بينما حاكم كشمير "المهراجا" الذي كان آخر حكام أسرة الدونمرا عمل على منع حدوث ذلك، أسس عصابات من الهندوس الكشميريين، والهندوس الذين أتوا من الهند لمنع انضمام كشمير إلى باكستان، وأخذت هذه العصابات في الهجوم على المسلمين.

وقتلت العصابات الهندوسية نحو 135 ألف مسلم، فقام المسلمون بالمظاهرات وأطلقت الشرطة التابعة للمهراجا النار على المتظاهرين الذين يطالبون بانضمام كشمير إلى باكستان، وسجنت الكثير منهم.

وتشهد الأحداث في الهند تعتيما إعلاميا كاملا، فقد قامت السلطات بطرد مندوبي وكالات الأنباء العالمية من الولاية، ولم تسمح بتواجد إلا لعدد قليل من مندوبي وكالة الأنباء الهندية، فارضة عليهم رقابة إعلامية صارمة لا تسمح بخروج أي خبر عما يحدث، إلا ما تصرح به.

ويحمّل المسلمون جزءا من المسؤولية لبريطانيا، التي استطاعت -بعد أن غزت شبه القارة الهندية وحاربت المسلمين- بسط سيطرتها على المنطقة، وقسمتها إلى ثلاثة أقسام، أحدها كشمير، أجّرته إلى إقطاعي هندوسي مدة مئة عام.

الفلبين.. منظمة "إلاجا":

"إلاجا" منظمة لاحتلال الأراضي في الفلبين، متهمة بارتكابها جرائم ضد شعب مورو المسلم، وقاموا بحرق بيوت المسلمين، ومساجدهم ومدارسهم وكتبهم الإسلامية، وإبادة عشرات الآلاف منهم.

وارتكبت هذه المليشيا جرائم منظمة في مناطق المسلمين، وبالأخص في مناطق مختلفة من "مندناو"، وما زالوا يعانون من هذه المنظمة حتى اليوم.

المسلمون في الهند والصين:

يعيش الآن في الهند ما يزيد على 90 مليون مسلم، يذوقون ألوانا عدة من الانتهاكات والاضطهاد من الهندوس، الذين يهدمون المساجد، ولعل صورة الانتهاكات في الهند تتضح اليوم بمجازر ارتكبت بحق المسلمين في ولاية اسام عام 2012، التي أدت إلى نزوح نحو 400 ألف مسلم من قراهم.

ويعاني المسلمون في الصين من الاضطهاد أيضا، ومنع مسؤولون صينيون موظفي القطاع العام والطلبة والقاصرين في منطقة شينغيانغ المسلمة من الصوم في شهر رمضان، حسبما أفادت مواقع إلكترونية حكومية صينية، وفق ما نشرته وكالات الأنباء المحتلفة.

ومنع الحزب الشيوعي الحاكم في الصين ولسنوات موظفي الحكومة والقاصرين من الصوم في شينغيانغ، التي تضم أكثر من 10 ملايين شخص من أقلية الأيغور المسلمة، كما أمر بعض المطاعم بإبقاء أبوابها مفتوحة.

وتشهد المنطقة قمعا من السلطات الصينية لأقلية الأويغور المسلمة، وتعزو مجموعات حقوقية التوتر إلى القيود الدينية والثقافية التي تفرض على الأيغور وأقليات مسلمة أخرى في هذه المنطقة الشاسعة الواقعة على حدود آسيا الوسطى.

لغة الوحي اختيار إلهي (*)

أ. د. محمد أبياط

قال تعالى:

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (إبراهيم: 5).

وهذا تكريم للقوم، وتشريف للغتهم، وتيسير على المبلغين منهم، ورحمة شاملة للمنزل عليهم وللمبلغ إليهم.

وقال سبحانه:

- ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: 2).

- ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا﴾ (فصلت: 2-3).

- (وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة: 30).

فاختيار الله للغة الوحي سنته الجارية في الأمم منذ أول وحي إلى آخر وحي، فلا بدع أن كانت لغة آخر وحي إلهي إلى البشرية هي اللغة العربية.

وقد نقلت هذه اللغة إلى الدنيا صورا علمية وأدبية من الحضارات القديمة بالجزيرة العربية، كعاد وثمود، وسبأ وملك سليمان، وغنيت بالخيال الوصفي في مظاهر السلم والحرب، واستغنى العرب بلغتهم عن لغات الفراعنة والفرس والحبشة المجاورين، وعن لغات الهند والصين واليونان وغيرهم، وكانت تلك اللغات لغات حضارات، لكنها كانت مشحونة بلوثاث الوثنية، والتفسيرات الفلسفية البشرية، والتصورات الأسطورية.

وحين شاء العليم القدير أن ينزل خاتمة الوحي الرسالة المحمدية، اختارها من بين لغات أهل الأرض؛ لغة العرب، لفضائل فيها، ومزايا وخصائص علم هو سبحانه أنها هي وحدها القادرة على استيعاب معاني الرسالة الخاتمة. قال الإمام الشاطبي: "ولما بعث الرسول ﷺ للناس كافة، فإن الله جعل كافة الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعا للسان العرب" (الاعتصام، 294/2).

وأنا لا أتحدث هنا عن الجانب التاريخي والعلمي والفني للغة العربية، وإنما أحاول استعراض بعض المحاسن التي تمتاز بها هذه اللغة عن غيرها. و«المسلمون» عن لغتهم اليوم غافلون، أو لها محاربون.

ومن قارن بين مخارج حروف اللغة العربية وتقسيمها بين الجوف والحلق واللسان والشفتين، لم يجد إطلاقا لغة غير العربية تضاهيها في هذا التقسيم. وعلماء الصوتيات يدركون أكثر من غيرهم أهمية هذه المخارج، وهذا التقسيم، في كون هذه اللغة تحوز أعلى مراتب الفصاحة والوضوح والجمال، -قال الجزري في النشر: "وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم" (53/1)-. وفي نظم مفرداتها تتفاوت درجات البيان والبلاغة بحسب التمكن من صناعة النظم والنثر.

وباختيار اللغة العربية وعاء لمضامين الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، صارت العربية لغة القيادة والسيادة والحضارة في كل مجالات الحياة.

ومن هنالك أقبل المسلمون من غير العرب على تحصيل لغة الوحي بشغف وحب؛ لأنها لغة الوحي الدولية، وقد برعوا فيها وتفننوا حتى ضاهوا العرب في فنونها، فتوحد المسلمون عربا وعجما وإيمانا وفكرا، وسلوكا ولسانا وتشريعا ونظاما، بفضل لغة الوحي لغة التوحيد.

وخير اللغات -يقول محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله- ما كانت لسانا مبينا للمدنية، تسهل على الناس سبيلها وتمهد لهم مقيلها. (آثار محمد البشير الإبراهيمي: 374/1، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط.1، 2011م).

ومن خصوم الإسلام من شهد «أن معظم الأبحاث العالمية الممتازة خلال حوالي أربعة قرون، إنما تمت بلغة العلم الكبرى حينئذ وهي اللغة العربية» (مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار، ص. 260، دار المعارف، ط.4، 1978، مصر)، والحق ما شهدت به الأعداء.

أما الغرب المتعصب المعادي، فطبيعته الطعن وطمس آثار الرجال، حتى لا تنفضح إزاءها مهازل الأنذال، قال عبد الكريم غلاب: "لا يجوز مطلقا فرض لغة أو لغات على دولة أو مجموعة دول باعتبار اللغة المفروضة لغة الحياة والعلوم والحضارة فلكل حضارة لغتها وقوميتها، ولذلك فالعالم الجديد يجب أن يقوم على أساس التعددية الحضارية واللغوية والنظم والسياسة العادلة". (في الفكر السياسي: ص 38).

وكلما وسعت اللغة العربية الحضارات المتعددة نقلا وتصحيحا وتقويما وتوسيعا، واستدراكا وإضافة، وتسهيلا للنقل عنها، تغلبت كذلك على مشاكل الترجمة وعيوبها بسبب القصد والجهل والخطأ.

ومن العجب أن الحضارة الراهنة تساندت في تكوينها وتشكيلها عدة لغات مختلفة الأصول، ولم تستطع أن تقوم بها لغة واحدة، على حين أن اللغة العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنيان، ولم تستعر من اللغات الأخرى إلا قليلا من المفردات (آثار محمد البشير الإبراهيمي: 374/1).

وإذا كان بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء.

وإذا كانت أسس الحضارة البشرية هي الوجدان والعدل والجهود البشرية واللغة فإن أسس الحضارة الإسلامية هي التوحيد، والتشريع العادل، واللغة العربية، والفضائل والكمالات الأخلاقية (آثار محمد البشير الإبراهيمي: 375/1).

ولما نقل المسلمون علوم وثقافات العرب والفرس والهند والصين ومصر واليونان والرومان إلى لغة القرآن، وجدوا فيها خير معين على ذلك، وهذا من فضل العربية على العلم والمدنية.

ولو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن متسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب، لما استطاع الأسلاف أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب الفرس والهند، ولألزمتهم الحاجةُ إلى تلك العلوم تعلمَ تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمته.

ولو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون.

لقد قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم تلك الأمم ونظمها الاجتماعية والأدبية والرياضيات بجميع أنواعها، والطب والهندسة والاجتماع والفلسفة، وهذه هي أهم العلوم التي قامت وتقوم عليها الحضارات العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة. وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك وإما أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك، وقد تفطن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم إليهم ولم ينتقلوا إليه.

وقد حفظت اللغة العربية بأمانة هذا الجزء الضروري من الضياع، بانتشاله من أيدي الغوائل، ونقله إلى الأواخر عن الأوائل، وبذلك طوقت العالم بمنة لا يقوم بها الشكر، ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير.

واللغة العربية لم تخدم مدنية خاصة، أو علما خاصا بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية والعلم المشاع بين الناس، وبذلك كان لها الفضل على الأمم عامة، وعلى المسلمين خاصة، فمن اطلع على ما تركته اللغة العربية من كنوز وذخائر في مختلف العلوم الدنيوية والدينية علم مقدار هذه اللغة وفضلها على البشرية (آثار محمد البشير الإبراهيمي: 376/1).

إن اللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلها ظل الإسلام، كانت سببا في تقارب أفكارهم وتشابه عقلياتهم، وتمازج أذواقهم، وتوحيد مشاربهم.

وإن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس، ولولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية.

وإن الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية، وأنماط التفكير، متفاوتة في الإدراك والذكاء، متفاوتة في القابلية والاستعداد، متفاوتة في التخيل والتصور.

ولكن اللغة العربية فتحت على تلك الأمم آفاقا جديدة في كل ذلك، ما كانت لتعرفها لولا اللغة العربية التي دفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان إلى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة إلى التحرك، وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة.

وإذا كان الأجنبي عن هذه اللغة يقدرها ويقدر لها جميلها، فيحيي من آثارها ما استطاع ويحث قومه على تعلمها والاستفادة من ذخائرها وحكومته من ورائه تجمع له مئات الآلاف من أسفارها القيمة. فماذا صنعنا نحن ونحن أبناؤها حقيقة.

ومن حق بل من واجب كل مخلص للغة العربية أن يتساءل: ما سر انطواء هذه اللغة وانكماشها اليوم عن كثير من جوانب الحياة عند المسلمين عربا وعجما؟، بعدما قادت الفكر العالمي شرقا وغربا بكفاءة فذة، واستقلال تام، ولم تعي ولم تضعف أكثر من ثلاثة عشر قرنا !؟

لعل الجواب القريب من الصواب هو أن اللغة العربية لم تعرف سيادة ولا قيادة حينما كانت لغة العرب وكفى، وإنما الذي أكسبها الشرف والريادة والهيمنة على الفكر العالمي هو الوحي الذي نزل بها، ونطق بلسانها، ونظم شؤون الناس بأحكامه المسوغة في عباراتها وأساليبها، فحيثما ارتفعت راية القرآن، وأضاءت مصابيح الوحي، وخضع الناس لسلطان الإسلام، سادت العربية وقادت. وكلما انحسر ظل القرآن وانكمشت روح الوحي وطويت الشريعة، وزحزح سلطان الإسلام؛ فرّغت اللغة العربية من أسرار انتصارها وانتشارها وهيمنتها على غيرها من اللغات، ولم تعد حتى في مستوى لغة العرب بالأمس، فجل عرب اليوم مشكوك في نسبهم إلى عرب الأمس، وعلى عرب اليوم ومسلميه أن يثبتوا نسبهم إلى عروبة الأمس وانتمائهم إلى إسلام خير القرون.

لعل الجواب القريب من الصواب هو أن اللغة العربية لم تعرف سيادة ولا قيادة حينما كانت لغة العرب وكفى، وإنما الذي أكسبها الشرف والريادة والهيمنة على الفكر العالمي هو الوحي الذي نزل بها، ونطق بلسانها، ونظم شؤون الناس بأحكامه المسوغة في عباراتها وأساليبها، فحيثما ارتفعت راية القرآن، وأضاءت مصابيح الوحي، وخضع الناس لسلطان الإسلام، سادت العربية وقادت

اللغة العربية لم تخدم مدنية خاصة، أو علما خاصا بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية والعلم المشاع بين الناس، وبذلك كان لها الفضل على الأمم عامة، وعلى المسلمين خاصة، فمن اطلع على ما تركته اللغة العربية من كنوز وذخائر في مختلف العلوم الدنيوية والدينية علم مقدار هذه اللغة وفضلها على البشرية

فبالإضافة إلى غارات الخصوم منذ بدايات النهضة الغربية وتآزر الحاقدين منهم في فصول متوالية ومتلونة من الحروب الصليبية المدروسة، هناك تخادل عربي وغدر ومكر وبيع في عرض الإسلام وشرف العربية، وتبعية واقتداء ومسخ وطمس، وفي مقابل نشاط السبق العلمي عند الغرب، وسعة حرية البحث والإبداع والإنفاق يوجد عند العرب انعجاف العمل في المجال العلمي، وخنق الحريات، وإرهاب الفكر، ووأد الإبداع.

ونحن إذ نتعصب لهذه اللغة الموؤودة إنما نتعصب للغة الوحي والحرية والعدل والجمال والسلام، لا للغة الرعونة والبطن والفرج والركوع للأجنبي.

لقد أصبحت لغة القرآن في أحوال غربة ووأد، وسجن وطرد وصار جل حكام المسلمين يترضون الغرب بمسخ لغة الوحي.

ولكن الأحرار وإن أعدمت أبدانهم أو سجنت فإن عشقهم للغة القرآن، وعمق حبهم وإخلاصهم للغة العز والسيادة، لا تعدم ولا تحبس؛ لأنها الأمانة التي تنتقل عن طريق قلوب الأسلاف الأحرار إلى صدور الخلف الأبرار: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ (الأحزاب: 39).

إن هؤلاء ومن أحبهم وأحب ما أحبوا، هم ضمانات للنبش عن الموؤود، وعلاج المفؤود، وإحياء الأمل في النصر الموعود.

قال محمد البشير الإبراهيمي: أحببت من الأمة العربية ما أحب الله منها يوم أنزل وحيه الكامل بلسانها (آثار محمد البشير الإبراهيمي: 225/4).

ومن حق من أحب شيئا أن يتعرف على محاسنه ويتغنى به:

نغار عن أحسابنا أن تمتهن
والحر عن مجد الجدود مؤتمن
ولغة العرب لسان ممتهن
إن لم يذد أبناؤه عنه فمن؟

(آثار محمد البشير الإبراهيمي:485/3)

(*) محاضرة نظمت من طرف الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية - فرع فاس، بتاريخ: 2016/06/21

الباكالوريا والانتحار!

وأنا أتصفح مواقع الإنترنيت، أثار انتباهي خبر الفتاة التي وضعت حدا لحياتها بمدينة طنجة جراء سماع خبر رسوبها في امتحانات الباكالوريا، ولأن ظاهرة الانتحار وإيقاف الحياة أصبح اليوم سلوكا عاديا عند كل من اعترضته عقبة في الحياة أو "فشل" في تحقيق هدف ما في الحياة.. فقد كانت رغبتي ملحة للتعليق على الحدث وفق النقط المختصرة التالية:

أولا: هذا نموذج لنتائج التربية التي نربي عليها أبناءنا.. نحن آباء وأمهات، مدرسين ومدرسات.. نلقن معلومات ونعطي معرفة جافة حول الحياة.. نحن للأسف لا نربي أبناءنا على التعامل مع الحياة، وحسن التوافق مع أحداث الحياة.. يمضي أبناؤنا سنوات عجاف تحت سقوف المؤسسات التعليمية ويخرجون منها بشخصيات ضعيفة، وثقة بالنفس شبه منعدمة، وإرادة مترهلة وعزيمة مهتزة، وبروح مريضة.. أي تربية هذه التي تمارس في الأسرة والمدرسة والتي تُخرج لنا أناس ليس لديهم أدنى فكرة عن كيفية الاندماج في الحياة وعن كيفية سلوك الطريق نحو مستقبل إنساني كريم؟!

ثانيا: كنت دائما ما أتساءل: ما هو الشيء الذي يستحق أن أوقف حياتي كلها من أجله؟؟ لماذا نجد من الناس اليوم من أصبح يعبر عن رفضه للحياة بمجرد أن يحرم حقا انتزعه منه ظالم؟ أو أن يعجز عن تحقيق شيء بذل من أجله الغالي والنفيس؟ أو لم ينجح في امتحان نيل "شهادة" كما هي حالة هذه الفتاة؟ أو أن زوجها خانها؟ أو أن تجارته أفلست بكاملها؟... هل هذه الأمور كلها وغيرها كثير تستحق أن يضع الإنسان حدا لحياته!!

بداية نقول: إن الاعتداء على الحياة بالانتحار حرام.. وفي شريعتنا هناك ما يسمى حفظ الكليات الخمس: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال.. هذه الخمس عليها مدار التشريع وعليها مدار الإسلام.. وكثير من العلماء جعلوا حفظ النفس قبل حفظ الدين، ذلك لأن في أحايين يضطر الإنسان لمخالفة الدين لحفظ النفس، كما في حالة أكل الميتة حين تشرف النفس على الموت والهلاك بالجوع.. أو شرب سائل محرم حالة العطش المؤدي إلى الوفاة... وغيرها من القضايا التي جاء بها الفقه في هذه الباب...

أما أن يضع الإنسان حدا للنفس والحياة لأنه فقد شيئا يمكن تعويضه في القريب، فهذا ما يجانب الصواب ويخرج بالإنسان من صفة إنسانيته التي كرمه الله تعالى بها..

ثالثا: وهنا يأتي السؤال الذي ربما قد يكون قد تبادر لذهنك وأنت تقرأ ما سبق.. كيف يمكن للإنسان أن يتحدى صعوبات الحياة، وكيف يمتلك القوة والإرادة والعزيمة والصبر لتجاوز السقطات المتوالية في خضم أحداث الحياة؟؟

للجواب على هذه السؤال، يجدر بنا أن نضع تصورا لسير حياتنا كلها، ونسطر فهما كاملا لمعنى وجودنا أصلا على ظهر هذه البسيطة، ونجيب على الأسئلة الخالدة: من أين؟ لماذا؟ وماذا؟ كيف؟ وإلى أين؟

والإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى الحديث عن منهج حضارة بأكلمه.. ولكن نحن هنا الآن، نعيش حياة معينة، بآمالها وآلامها.. بحلوها ومرها... ما العمل الآن لكي نكون أقرب من حب الحياة، وأبعد من الرغبة في وضع حد لها بالإلقاء بالنفس للتهلكة والموت؟؟

هي ثلاث أشياء رئيسية:

1 - **التصفية لما يُضخ يوميا من أفكار سلبية وإيحاءات مسمومة** (أكثر من 60000 ألف فكرة تدور في ذهنك يوميا.. 85% منها للأسف يكون سلبيا عند الأكثرية) وذلك بوضع مصفاة على مستوى الفكر والمشاعر والأحاسيس، وبدعم البعد الروحي فينا البعد الأقوى والحارس الأمين لشخصياتنا ولنفوسنا.. ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾.

2 - **التنقية لما هو بداخلنا وما بأنفسنا**، والله تعالى يقول: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، فعلينا العمل على إخراج كل القيم والمعتقدات الفاسدة من دواخلنا، ونجعل بدلها المعتقدات الحسنة والقيم البانية.. وهذا يكون بالتربية والتزكية برياضية القلوب وترويضها على الخير والهدى.. وهذا ما أطلق عليه السابقون "التخلية ثم التحلية".

3 - **التنمية الذاتية**، وهي العمل على تنمية الخصال الحميدة في هذه النفس، وتطويرها وذلك انطلاقا من المؤهلات الذاتية الفطرية التي أودعها الله تعالى فينا ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم..﴾ ويكون هذا بطلب العلم النافع، وحضور الدورات التكوينية والتدريبية لتنمية المهارات والتخطيط للحياة وبناء الرؤية والرسالة فيها، وهذا يتطلب من الشخص رغبة مشتعلة وأخذا بالأسباب...

وهذا رمضان، شهر القرآن، شهر الغفران.. هو الموسم الفذ بامتياز لحصول التصفية والتنقية التنمية.. فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر..

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

د. محمد بوهو

شهر رمضان موسم القرآن

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيْ ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيُشَفَّعَان».

ولا شك أن ميزة الصيام تتجلى في كونه لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، وهو معنى الحديث القدسي الذي قال فيه النبي ﷺ: «قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به».

كما أن ميزة القرآن تتبدى في كونه أفضل الذكر على الإطلاق، وأن قارئه مجزي عليه مطلقا وإن لم يستحضر نية التعبد.

فخير ما نستغل به شهر رمضان هو قراءة القرآن وتدبره، فمن أهمل القرآن طول عمره، جاءه رمضان فرصة له في العودة إلى كتاب الله ﷻ.

ولعل شهر رمضان المبارك الذي نعيشه هذه الأيام -ونحمد الله تعالى أن وفقنا لإدراكه- يذكر الأمة المسلمة بضرورة العودة الصادقة إلى كتاب الله العظيم. فقد شرف هذا الشهر بنزول القرآن فيه بل وفي أفضل ليلة منه، قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: 185). وقال سبحانه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر: 1).

فالله سبحانه وتعالى أنزل كتابه العزيز ليهتدي به الناس ويعتصموا به، فهو مصدر القوة والعزة وأساس التمكين والرفعة، فيه الهدى والنور، من آمن به حق الإيمان وصدق به وأخلص التصديق فقد هداه الله تعالى، وآتاه من فضله، وأعانه على كل خير.

فمن أراد الرفعة والشرف والذكر بين الأمم، فعليه بالقرآن، قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ (الزخرف: 44). وقال ﷻ: ﴿لقد انزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ (الأنبياء: 10)، أي فيه شرفكم.

ومعلوم أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمحرمات، فالقرآن الكريم هو أفضل وسيلة لزيادة الإيمان، قال تعالى: ﴿إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الأنفال: 2).

وهو العلاج الناجح لأمراض القلوب قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين﴾ (يونس: 57).

فمن أراد السير إلى الله سيرا صحيحا مأمونا فعليه بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ (التكوير: 28).

يقول خباب بن الأرت ﷺ: تقرَّبْ إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

من كان مع القرآن كان الله معه، ومن عاش مع القرآن أحيى الله قلبه بالقرآن، وما حييت القلوب بشيء مثل القرآن، ولا استنارت ولا أشرقت بشيء مثل كلام الرحمن، وإذا لم تسعد القلوب للقرآن فلأي شيء ترتاح، وإذا لم تهتد بكلامه فبأي شيء تهتدي؟ ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يومنون﴾ (الجاثية: 6)؟

وكان السلف الصالح -رحمهم الله- يتلون القرآن في شهر رمضان وغيره في الصلاة وغيرها، وتزيد عنايتهم به في هذا الشهر العظيم، فكان الأسود -رحمه الله- يقرأ القرآن في كل ليلة من رمضان.

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر يختمه في كل ثلاث.

وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كلَّ ليلة.

وكان الزُّهري -رحمه الله- إذا دخل رمضان، قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وكان مالك -رحمه الله- إذا دخل رمضان يفرُّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم ويُقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان، ترك النوافل، وأقبل على قراءة القرآن، والآثار عنهم في هذا المعنى كثيرة.

والعناية بالقرآن لا تقتصر على تلاوته ومدارسته فقط، بل تتعداه إلى دعم دُور الخير، وحلَق القرآن التي أُسست وأقيمت لتعليم القرآن، فالإنفاق في هذا المجال وبذل المال في هذا الطريق من علامات الخير ومن أمارات الصلاح، ومن الأمور التي ندبت إليها الشريعة وحثّ عليها الإسلام، فالواجب على أهل اليسار ومَن مَنَّ الله ﷻ عليهم بالمال أن تجود أنفسهم بالخير، ولاسيَّما بدعم كتاب الله ﷻ، ودعم نشره وتعليمه، ودعم حفظه وتلاوته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمّل: 20).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

زكرياء غازيوي

الأعمال بالخواتيم والعشر الأواخر خاتمة رمضان

– فها هو الشهر الكريم الذي كنا نتحدث عن مجيئه في وقت سابق ينصرف سريع الخطى، ويبدأ عده العكسي كما نرى، بل إن ثلثه الأخير المعروف بالعشر الأواخر منه قد حل بنا بالفعل، تلك العشر التي تمثل بالنسبة إلينا فرصة إضافية يقدمها إلينا ربنا الكريم سبحانه وتعالى؛ وذلك لعلمه بأننا ضعاف، وأن التقصير منا واقع لا محالة، وأن الغفلة مستحكمة فينا استحكاما غريبا، وأن تكاسلنا وتقاعسنا عما أراده منا سبحانه وتعالى ظاهر واضح... ورحمة منه سبحانه وفضلا، وكرما من عنده وجودا، جعل لنا فرصا نراجع فيها أعمالنا، ونحاسب فيها أنفسنا...؛ علنا نؤوب من جديد، فنصحح ما اعوج من سلوكنا، ونقوم ما انحرف من عقيدتنا وتديننا وتصرفنا... وكان من أعظم تلك الفرص، فرصة شهر الصيام والقيام، شهر رمضان المبارك، الذي يقع منا مع الأسف تقصير كبير في استغلال أجوائه الروحانية، وفي الاستفادة من نسائمه الإيمانية...

– من باب زيادة إكرام ربنا لنا، وإعطائه لنا فرصا داخل فرص؛ ومن باب إقامة الحجة علينا بشكل أقوى يوم الدين،... تأتي العشر الأواخر من شهر الصيام والقيام، لتكون فرصة أخيرة لمن غفل أو قصر أو ضعف فيما مضى من أيام الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك...

– إن العشر الأواخر من شهر رمضان، تعد فرصة للتركيز والتأمل في النتائج المحصل عليها خلال ما سلف من أيام هذا الشهر الكريم، هل هي نتائج مؤهلة لنيل جوائزه السنية؟ أوهي نتائج معرضةٌ من فرط فيه وتهاون، لخيبة الأمل وتعاسة الحال؟.

كما أنها فرصة لاستدراك ما يمكن استدراكه، من صدق وإخلاص، ومن خضوع وتذلل وانقياد، ومن طاعة وتقرب وحسن فعال، ومن جود وكرم وكثرة تلاوة وتدبر آي القرآن...

– إننا ندعو ونكرر كثيرا الدعاء الذي يقول: "اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك". وكأننا بذلك نستحضر قصة من قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا».

فهل سنختم هذا الشهر الكريم بما كان يختمه به نبينا الكريم، الذي تقول عن علاقته ﷺ بالعشر الأواخر من رمضان إحدى زوجاته وهي السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل، وأيقظ الأهل، وجد وشد المئزر». وتقول كذلك: «كان رسول الله ﷺ، يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره»... هل سنفعل ذلك، أم نكون ممن يقول بفعله وحاله. إن توديع شهر الصيام والقيام، يبدأ مع دخول العشر الأواخر منه، ولمن صبر وتحمل، فمع انتهاء ليلة السابع والعشرين وهي المعروفة بليلة القدر؟.

– إن العشر الأواخر من شهر الصيام والقيام، تتضمن ليلة وصفها ربنا ﷻ بأنها ليلة مباركة، وأنها الليلة التي حظيت بنزول القرآن الكريم فيها، وشرفت بنزول ملائكة الرحمن وفي مقدمتهم أمين وحي السماء جبريل عليه السلام، بل وبكونها ليلة القدر العظيم عند الكبير المتعال، وليلة السلام والأمن والسلم حتى مطلع فجرها... يقول تعالى: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾. ويقول ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

وقد تحدث نبينا الكريم ﷺ عن تلك الليلة، مثل حديثه عن صيام وقيام الشهر الكريم كله فقال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

فهل سنتحرى تلك الليلة المباركة، ونغتنم العشر الأواخر كلها، لندرك الليلة المذكورة بالفعل، فننال بذلك مغفرة ذنوبنا، ورفع درجاتنا...؟ إن ذلك ما نرجو أن يتحقق لكل صائم وصائمة، بل ولكل مؤمن ومؤمنة.

د. عبد الله كاهيري

"لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"

في هذه الأسطر بيان لفضل يعود على الصائم وهو أن: "فمه أطيب من ريح المسك". وذلك ببيان بعض الأبعاد العقدية والفقهية لهذا الأمر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وعند الإمام مسلم: «والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح المسك».

إن المقصود بالْخُلُوفُ هنا هو: تَغَيُّرُ طَعْم الْفَم لِتَأْخِير الطَّعَام. ولهذا الأمر أثر عقدي يتجلى في الفهم السقيم الذي ينسب إلى الله ﷻ حاسة الشم متمسكا بظاهر الحديث.

وإنما سميته فهما سقيما لأنه يقف عند ظاهر الحديث، ولا يعطي نفسه فرصة جمع الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب، فيصدر الحكم بعدئذ. ولعل العلة التي أدت بهذا الاتجاه إلى نسبة ما سبق ذكره هو حمله الكلام على حقيقته، إذ الأمر هنا ليس حقيقة، بل هو من باب المجاز، وما دام كذلك فلا تصح تلك النسبة السالفة، ولهذا أكد الإمام المازري أن قوله ﷺ: «أَطْيَبُ عند الله من ريح المِسْك» مجاز واستعارة وحجته في ذلك أن: استطابة بعض الروائح من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء فتستطيبه وتنفر عَن آخر فتستقذره، والله تعالى يتقدس عن ذلك، ولكن جرت العادة فينا أن نقرب الروائح الطيبة منّا. واستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله سبحانه، وهذا فهم سليم معضد بروح الشريعة ومقاصدها، وله أثر عقدي يكمن في استبعاد حاسة الشم من صفات الله ﷻ.

ولب القول: إن الخلوف ليس مقصودا لذاته، كما أن المشقة ليست مقصودة من العبادات.

فهو أمر عرضي. إذا استطاع الصائم تحقيق الصيام بدونها فذلك ما يتناسب مع الفهم العام للشريعة والذي يدعو إلى التطيب.

كما أن لهذا الأمر الذي نحن بصدد الحديث عنه أثر فقهي يتجلى في منع السواك أو جوازه.

فقد احتج الإمام الشافعي بالثناء على الخلوف لمنع السواك بعد نصف النهار، وهو وقت وجود الخلوف؛ لأن السواك يذهبه، وفي بقائه من الأجر والفضل ما لا يجب عنده إزالته. وذهب مالك إلى جوازه في النهار كله؛ لأنه عنده إن كان من المعدة فلا يذهبه السواك. فإن جعلنا الكلام في الثناء على الخلوف حسب القاضي عياض استعارة وتنبيهًا على فضل الصوم، لا على نفس الخلوف، فذهابه وبقاؤه عنده سواء.

ولهذا أورد الإمام ابن القيم إجماعا يخص جواز السواك حيث قال: "أجمع الناس على أن الصائم يتمضمض وجوبا واستحبابا، والمضمضة أبلغ من السواك، وليس لله غرض في التقرب إليه بالرائحة الكريهة، ولا هي من جنس ما شرع التعبد به، وإنما ذكر طيب الخلوف عند الله يوم القيامة حثا منه على الصوم، لا حثا على إبقاء الرائحة، بل الصائم أحوج إلى السواك من المفطر.

وقد انتصر ابن القيم لما ذهب إليه بأدلة عقلية، أورد منها:

• إن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم.

• إن محبته للسواك أعظم من محبته لبقاء خلوف فم الصائم.

• إن السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك عند الله يوم القيامة، بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه، ولو أزاله بالسواك، كما أن الجريح يأتي يوم القيامة، ولون دم جرحه لون الدم، وريحه ريح المسك، وهو مأمور بإزالته في الدنيا.

• إن الخلوف لا يزول بالسواك، فإن سببه قائم، وهو خلو المعدة عن الطعام، وإنما يزول أثره، وهو المنعقد على الأسنان واللثة.

• إن النبي ﷺ علم أفراد أمته ما يستحب لهم في الصيام، وما يكره لهم، ولم يجعل السواك من النوع المكروه، وهو يعلم أنهم يفعلونه، وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول، وهم يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارا كثيرة، ويعلم أنهم يقتدون به، ولم يقل لهم يوما من الدهر: لا تستاكوا بعد الزوال، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع، والله أعلم.

وبهذه الأدلة العقلية التي أوردها هذا الإمام الكبير يتضح بجلاء أن السواك بالنسبة للصائم لا حرج فيه، ولا يتعارض مع الحديث الذي أوردته في البداية.

إعداد: رشيد رزقي

زكاة الفطر؛
طعمة للمساكين، وطهرة للصائمين

د. أحمد الإدريسي

زكاة الفطر صدقة تجب بالفطر في رمضان، وأضيفت الزكاة إلى الفطر لأنها سبب وجوبها.

وهي واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، بالسنة والإجماع؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ "أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد أو ذكر أو أنثى من المسلمين".

وعنه أيضا أنه قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة". (والمراد هنا صلاة العيد).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير أو صاعا من أَقِطٍ أو صاعا من زبيب".

ولها أسماء عدة منها: صدقة الفطر، وزكاة الفطر، وزكاة الصوم، وصدقة رمضان، وبكل هذه الأسماء وردت نصوص شرعية.

وقد شرعت زكاة الفطر لحكمة بالغة، ولتحقيق مقاصد تربوية واجتماعية، ومن ذلك أنها:

● **سببُ الفوز عند الله تعالى:** فقد قيل هي المقصودة بقوله تعالى في سورة الأعْلَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبِي الْعَالِيَةِ قَالاَ: أي؛ "أَدَّى زَكَاةَ الْفِطْرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ" (يقصد صلاة العيد).

● **طهرة للصائم؛** قد يقع الصائم في شهر رمضان في بعض المخالفات التي تخدش كمال الصوم من لغو ورفث وصخب وسباب ونظر محرم، فشرع الله ﷻ هذه الصدقة لكي تصلح له ذلك الخلل الذي وقع فيه، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ". وبذلك يكون صيامًا تام الأجر ويفرح به المسلم فرحا تاما يوم القيامة.

● **تجبر نقصان الصوم،** فعَنْ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ رحمه الله قَالَ: "زَكَاةُ الْفِطْرِ لِسَهْوِ رَمَضَانَ كَسَجْدَتَيِ السَّهْوِ لِلصَّلَاةِ، تَجْبُرُ نُقْصَانَ الصَّوْمِ كَمَا يَجْبُرُ السُّجُودُ نُقْصَانَ الصَّلَاةِ". وهي أيضا تكميل للأجر وتنمية للعمل الصالح.

● **إظهار شكر الله تعالى على نعمه،** وعلى توفيقه بإتمام صيام شهر رمضان وما يسر من قيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة.

● **مواساةٌ للفقراء والمساكين،** وإغناء لهم من ذل الحاجة والسؤال يوم العيد.

● **إطعام للمساكين والمحتاجين أيام العيد،** وبذلك تعُم الفرحة في يوم العيد كل الناس حتى لا يبقى أحد في هذا اليوم محتاجا إلى القوت والطعام ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أغنوهم عن المسألة في هذا اليوم»، وفي رواية: «أغنوهم عن طواف هذا اليوم».

ومعنى ذلك إغناء الفقير يوم العيد عن المسألة. لذلك أجاز العلماء إخراجها قبل يوم العيد بيومين أو ثلاثة، قال الإمام البغوي: "والسُّنة أن تخرج صدقة الفطر يوم العيد قبل الخروج إلى المصلى، ولو عجَّلها بعد دخول شهر رمضان قبل يوم الفطر يجوز، وكان ابن عمر يبعث بزكاة الفطر إلى الذي تجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة".

● **تزكيةٌ للنفس وتطهيرٌ لها** من داء الشح والبخل.

● **زكاةٌ للنفوس والأبدان؛** تُعد صدقة الفطر زكاة عن الأبدان والنفوس وقربة لله ﷻ عن نفس المسلم، أو زكاة لبدنه، وبعبارة أخرى تعبر عن شكر العبد لله ﷻ على نعمة الحياة والصحة التي أنعم الله ﷻ بها على عبده المسلم. لذلك وجبت على الكل بما فيهم الصغير والعبد والصائم والمفطر سواء أكان مفطراً بسبب شرعي أم غير شرعي.

● **إشاعةٌ المحبة والمودة** بين أفراد المجتمع المسلم.

رمضان مدرسة للإصلاح الحقيقي

شهر رمضان شهر مبارك فيه خير كثير للمسلم، فيه أنزل الله تعالى القرآن الكريم، هداية للناس وبيانا للحق، بعدما كانوا في ضلال مبين، وهو شهر أوله رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، تصفد الشياطين خلاله، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أدبر، كما في الحديث الصحيح: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ». وتتهيأ النفوس للإقبال على الله تعالى بالطاعات والقربات، فيغلب جانب الخير على جانب الشر في الإنسان المسلم، ويبدأ في إصلاح نفسه، بتثبيت الجوانب الخيرة فيه، وبإزالة نزعات الشر، وحظ الشيطان منه.

فشهر رمضان فرصة عظيمة أمام المسلمين من أجل إصلاح أحوالهم، لأن من ينظر إلى حال المسلمين اليوم ببصيرة يجدهم بعيدين كل البعد عن دين الله تعالى وأخلاقه وقيمه ومقاصده.

نعم المسلمون اليوم أحوج ما يكونون لإصلاح حالهم وواقعهم، وعاداتهم، وأخلاقهم،.. وعلاقتهم مع الله تعالى، حتى يصبحوا صالحين مصلحين وتتحقق الخيرية المذكورة في القرآن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110)، لأن الله تعالى لا يرضى عن غير الصالحين، ولا ينصر المفسدين، ولا شرار الخلق.

فما على المسلم إلا أن يصحح النية ويجددها، ويتسلح برغبة وعزم لإصلاح نفسه أولا ثم مجتمعه ثانيا، ويبادر إلى كل خير؛ فرمضان فرصة لا تعوض، والعمر قصير، والموت لا يأتي إلا فجأة. وصدق من قال: "إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة... فإن فساد الرأي أن تتردد. فآفة إصلاح النفس التسويف والتأجيل والأماني".

وشهر رمضان مدرسة بما في الكلمة من معنى، يتخرج منها خريجون صالحون كل سنة بشهادات وأوسمة من معلمهم ومربيهم هو الله تعالى ونبيه ﷺ، وفيها مادة دراسية هي القرآن الكريم، وحصص تدريبية هي عملية يومية على الصوم والطاعة، وطلاب يعدون بالملايين، في كل بقاع الأرض.

أولى خطوات الإصلاح تبدأ بتصحيح النية وإخلاص القصد في كل قول أو فعل، حتى لا يكون أحد شريكاً مع الله جل وعلا في العبادة، سواء أكان هذا الشريك شهرة أو شهوة أو مصلحة دنيوية.. وميدان التدرب على الإخلاص هو الصيام، حيث لا يطلع على حقيقته إلا الله تعالى، فهو عبادة سرية بين العبد وخالقه. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي» (رواه البخاري ومسلم).

والتقوى أساس كل إصلاح، فلا صلاح ولا إصلاح لغير المتقين، ولا تقوى لغير الصالحين، وشهر رمضان مدرسة يتخرج منها المتقون بشكل تلقائي، إذا ما صاموا رمضان إيمانا واحتسابا، كما أراد الله ﷻ. وقد نص على ذلك في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183). هذا خطاب الله تعالى للمؤمنين يأمرهم فيه بالصيام، ويبين العلة في ذلك وهي تحقيق التقوى، والتقوى هي جوهر الدين، ومقصد الأحكام الشرعية، لأنها من القيم الكبرى الجامعة في الإسلام، والصيام يحقق هذه القيمة، من خلال الإمساك عن الشهوات طواعية، واجتنابها، ومقاومتها، طاعة لله تعالى وخوفا منه ﷻ. واستحضارا لأوامره ونواهيه في حياة المسلم، إذ التقوى وقاية من عذاب الله تعالى، واتقاء عذابه ومكره وغضبه يكون باتقاء محارمه التي نهى عنها في شريعته، وإتيان أوامره وعدم التفريط فيها أو تضييعها، بحيث يسير في الطريق المستقيم لا يزيغ عنه ولا ينحرف، حتى يلقى الله تعالى وهو عنه راض.

كما أن رمضان مدرسة للتعلم والتدرب على إصلاح النفس بالتحكم فيها وقت الغضب، وكبح جموحها حفاظا على الصيام من الإبطال، وإصلاحا للسان، الذي يجر على صاحبه الويلات، وأكثر من ذلك أنه أكثر ما يدخل الناس إلى النار "الفم والفرج"، فيجب منعه من الغيبة والنميمة والكلام الفاحش، وقول الزور، قال ﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»، وقال أيضا: «من لم يدَعْ قولَ الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه» (أخرجه البخاري).

والإصلاح لا يتحقق بغير صبر، سواء إصلاح النفس أو إصلاح الغير، وقد عقب الله على التواصي بالحق بالتواصي بالصبر لأنهما متلازمان، وكل ذلك جاء في سورة العصر، في سياق بيان سبل النجاة من الخسران، والفوز بالجنان، فشهر رمضان شهر الصبر بامتياز، صبر على الجوع والعطش، وصبر على مراغمة الشهوات والرغبات، والنزغات، قال ﷺ: «صومُ شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وَحَرَ الصدر» (أخرجه البزار). فوحر الصدر هو وساوس الشيطان وما يصيب قلب الإنسان من غيظ وكَدر، فصيام رمضان تقوية للإرادة والعزيمة، وفيه تحصين للنفس ضدّ وساوس الشياطين، وفي هذا علاج للنفس من أمراضها.

والصيام محطة لتصحيح وإصلاح العبادة بأدائها على تمامها شكلا ومضمونا، قلبا وقالبا، وربط أفعال العبادة بقيمها ومقاصدها، وهذا الربط ينقص المسلمين في هذا الزمن، حين طغت المظاهر على المضامين، فأعطتنا تدينا مشوها ممسوخا. حتى صرنا نرى المسلمين ولا نرى الإسلام في حياتهم. يقول الرسول الأكرم ﷺ: «ليس الصيامُ من الأكل والشراب، إنما الصيامُ من اللغو والرفث؛ فإن سابك أحد أو جهل عليك فقُل: إني صائم، إني صائم». (أخرجه الحاكم).

ورمضان مدرسة تعليم وتدريب كيفية إصلاح العلاقة مع الله تعالى وذلك الاجتهاد في طاعته وعبادته والإخلاص إليه، واستدراك ما فات من تقصير في الفرائض والنوافل، أيام الغفلة أو الطيش، وتخفيف من الذنوب والمعاصي، والتزود بالأجر المضاعف والحسنات الكثيرة، ما دام العرض محدودا ومحصورا في شهر رمضان، ففي الحديث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فَرَضَ اللَّهُ صِيَامَهُ وَجَعَلَ قِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، فَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَهُوَ شَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَهُوَ شَهْرٌ يُزَادُ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ فِيهِ، مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَمَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ» (رواه ابن خزيمة في صحيحه).

ويتحقق ذلك بالجد والاجتهاد وترك دفء الفراش، والملذات والنوم.. والتعاون على الخير بإيقاظ الأهل، والتعرض لنفحات العشر الأواخر، وتحري ليلة القدر، فقد قال ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيى ليله، وأيقظ أهله»، وفي رواية: «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر» (رواه البخاري ومسلم).

وأخيرا رمضان مدرسة حقيقية من أجل إصلاح الأحوال واستدراك ما فات، والتزود للمستقبل، وتزكية النفس بالتخلي عن العادات السيئة والتحلي بالأخلاق والعادات الحسنة. قال ابن القيم في كتابه الفوائد: "ليس في الشريعة ولا في الطبيعة توقُّفُ البتَّة، فإذا شغل العبدُ وقتَه بعبودية، تقدَّم إلى ربِّه، وإن شغله هوى أو راحةٌ أو بطالةٌ، تأخر؛ فالعبدُ لا يزال بين تقدُّم وتأخر؛ قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدّثر: 37)".

ذ. محمد البويسفي

من أوراق شاهدة

من أين نبدأ مشوار النهضة بالمحبة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

كانت صبيحة مباركة تلك التي تبادلت فيها الحديث مع سائق سيارة أجرة، وكنت آنها أحضن بيتم ذلك السؤال الكبير الذي غدا يرافقنا جميعا.. نحن الذين نحاول أن نتشبث بحائط من رمل لنقنع أنفسنا بأننا ما بدلنا تبديلا وأننا من طينة العاصين على الجمر.. كان سؤالنا الرتيب الذي لا يني ينخس رتابتنا أين الخلل؟

ووجدت الجواب العفوي حاضرا حين قال ذلك السائق الوقور بلحيته البيضاء وكلماته الرصينة العميقة، إنه خلل الحب الغائب .. نحن لا نحب بعضنا بل نضمر لبعضنا كل المقت والكراهية، "غير تدور يعطيك صاحبك وما يرحمكش" ثم استرسل في سرد حديث النبي ﷺ العميق «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

كان وهو يتكلم يغمسني في رهبة عظيمة، هل قرأ ما دار في خاطري قبل أن ألقاه؟ ففي ذلك الصباح وقبل أن آخذ سيارة الأجرة لفت نظري وأنا بالشارع العام شاب يركب عربة متهرئة يجرها حمار عجوز وكان قد أنهى لتوه وصلة البحث في حاويات أزبال الحي وعاد بحزمات من بقايا الخضر الفاسدة وأشياء أخرى كان في كامل قواه الجسمانية مطرق الرأس مكتئب الملامح، فكرت في وضع الضيق الكبير الذي قد يكون غارقا في دوامته وهو في هذا الصباح الرمضاني الكريم يجوب المزابل في الوقت الذي يتوسد فيه شباب آخرون وسائدهم ويغرقون في أحلامهم الشبابية بعد ليلة من الإبحار في العالم الأزرق بهواتف ذكية.. فكرت أنه هو القابض على الجمر حقا إذ يوطن أصابعه على البحث في مخلفات الناس الغذائية في حين يروض آخرون أصابعهم للنشل أو حتى الخنق والذبح، بل وحتى الإرهاب العابر للقارات الذي يقتل الناس بالعشرات باسم الله ﷻ.. تعالى الله عن عنف أصابعهم علوا كبيرا.

أن أرى ذلك الشاب.. ذلك الصباح.. أن أخف إلى إعطائه ما وفقني الله إليه من لمسة مادية بسيطة، كان بحق استجابة لنبض رحمة، جعلني أقول في نفسي حقا ليس سهلا أن يفتح باب المغريات المادية على مصراعيه لشبابنا، وتصادف شبابا بتلك الملامح المغموسة في "الحكرة" وهم يواصلون الحفر في الصخر فذلك مما يفرح الخاطر. وقد رأيتني وأنا في الطريق إلى موقف سيارات الأجرة أطرح ذلك السؤال الآنف الذكر من أين نبدأ وأين الخلل، وإذ قال ذلك السائق الوقور أن المحبة هي الغائبة في علاقات المسلمين، تذكرت الشاب المنغمس في بقايا الآدميين بالمزابل فقلت في نفسي: حتما نحن في عز التشتت الوجداني والعاطفي.. وتوجيهات كتاب الله ﷻ وأحاديث رسول الله ﷺ حول الأخوة وتلاحم البنيان المرصوص غدت مجرد كلام عابر نزين به المهرجانات والمسابقات الدينية، حتى سرت فينا عدوى استعراضية أيكم أحفظ لكتاب الله بلا عمل عوض قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، وبصيغة أخرى كيف ندعي تشبتنا بكتاب الله تعالى وتكريمنا لحافظيه وفداءنا للحبيب المصطفى ﷺ ونحن لا ننزل روح الأحاديث النبوية؟!

في هذا السياق، يقول رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، فكيف يتزاحم فلذات أكبادنا على المزابل، وتمر تلك الحركات الغريبة حتى لا أقول المقرفة لأجساد محنية تتبضع من سوق النفايات في أجواء من عدم الانتباه حتى ليتساءل المرء هل حقا ترك رسول الله ﷺ إرثا نبويا حاسما في رفض مجتمع متنافر تنخره لوحات القسوة.. يقول رسول الله ﷺ «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

إن هذه الأعراض الأنانية التي تجعل الآخر هو الجحيم كما قال الفيلسوف الفرنسي الوجودي جون بول سارتر، هي البدايات الحالقة لعلاقات المسلمين الأخوية وهي المؤشر على هشاشة المجتمع الإسلامي؛ يقول أحد الكتاب من المسلمين في سرده لوقائع سقوط الأندلس: "إن أحد أسباب سقوط الأندلس في يد الإفرنج هو داء الفرقة". يقول هذا الكاتب أنه غداة هجوم أمراء الممالك الأوربية المجاورة على إمارة مسلمة واحتلالها دخل وزير على أحد ملوك الطوائف فوجده حزينا مغضبا فسأله عن سر غضبه وهو يظن أن الملك غاضب لاغتصاب النصارى للإمارة المسلمة المجاورة، لكن الملك قال بلهجة يشوبها القرف بأن سبب سخطه هو مهندسه الذي بنى له قصره، والذي لا يلتزم بما يأمره به.

فهل يمكن أن نقول: "إن حال اليوم أحسن من حال البارحة، ونحن أمام مآسي إنسانية يتشبه فيها آدميون بالبهائم ..؟!

وما يزيد المأساة درامية بل جانبا ساخرا محزنا هو أنني سمعت أن أولئك الشباب المنقبين في المزابل يشتغلون لحساب مافيات المخلفات الذين يكلفونهم بالعمل الوسخ المهين نظير دراهم معدودات.

وما خفي أعظم حين تنحسر معالم البنيان النبوي اللاحم في النفس والآفاق.

الكلم الطيب

ذة. رجاء عبيد

وعد الله ﷻ في محكم كتابه بصعود الكلم الطيب إليه، ورفع العمل الصالح في قوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: 10)، وهي آية محكمة إذا استساغها ذوق المؤمن انكشفت له أبحر من الأسرار التربوية والتوجيهية، فترقى به صعدا وتحلق به في فضاء القرب، فتتخلص بها حمائم الروح من أفونة نتن الصلصال بعد مدد نسائم منن تنش رذاذا فتنبت الرسوخ الإيماني على المستوى العقلي، واليقين الشهودي على المستوى الروحي.

فالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة تصعد إلى السماء وترفع إلى الله تعالى، ترفع بالمؤمن من حضيض الأرض إلى عنان السماء على مستويي الصعود والرفع.

فحقيقة الأول: "الصعود" مستعار للبلوغ إلى عظيم القدر، وكناية عن القبول لديه؛ فشبه جانب القبول عند الله ﷻ بمكان مرتفع لا يصله إلا ما يصعد إليه.

وحقيقة الثاني: "الرفع" نقل الشيء من مكان إلى مكان أعلى منه، كنقل الجسم من مقره إلى أعلى منه وهو كناية للقبول عند عظيم؛ لأن العظيم تتخيله التصورات رفيع المكان.

وإنما جيء في جانب العمل الصالح بالإخبار عنه بجملة "يرفعه" ولم يعطف عليه "الكلم الطيب" في حكم الصعود إلى الله مع تساوي الخبرين لفائدتين:

أولهما: الإيماء إلى أن نوع العمل الصالح أهم من نوع الكلم الطيب على الجملة. إلا ما كان من صميم الاعتقاد كقول الشهادتين؛ أو ما كان من القول الذي يكمل بناء العمل الصالح، فهو جزء من ماهيته.

ثانيهما: أن الكلم الطيب يتكيف في الهواء، فإسناد الصعود إليه مناسب لماهيته، وأما العمل الصالح فهو كيفيات عارضة لذوات فاعله ومفعوله، فلا يناسب الصعود إليه، وإنما يحسن أن يجعل متعلقا لرفع يقع عليه ويسخره إلى الارتفاع.

ويقود التأمل في آيات صعود الكلم الطيب إلى كشف حقيقته منذ تكون الكلمة الطيبة نبتة تغرس في الطبع التوحيد إلى أن تصير شجرة وارفة الظلال باسقة الأغصان، متجذرة الأصول تخرج شطأها فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فتنبثق من الأرض صعودا إلى عنان السماء شامخة بصلاحها؛ يتلقاها الرحمان بيمينه فيربيها للمؤمن كما يربي أحدنا فلوه أو فصيله. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: 24-25).

لذلك يعمل القرآن على بناء منهج متكامل لترسيخ الكلمة الطيبة وجعلها أصلا في قول المؤمن وسندا لعمله وذلك ب:

- الأمر بالقول الطيب؛ وقد عبر عنه القرآن بما يوائم ماهيته فوصفه بالقول السديد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الأحزاب: 70)، فالسديد الذي يوافق السداد" والسداد الصواب والحق، ومنه تسديد السهم نحو الرمية، أي عدم العدول به عن سمتها بحيث إذا اندفع أصابها.. فشمل القول السديد الأقوال الواجبة والأقوال الصالحة والنافعة.. والقول يكون بابا عظيما من أبواب الخير ويكون بابا من أبواب الشر" فترتب على القول السديد صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب. فسبق القول العمل، ولما وسم القول بالسداد، تجلت الرحمات من الله ﷻ مسددة العمل بالصلاح.

وقد أمر الله ﷻ عباده بالقول الحسن في قوله: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة: 83)، وجعل الإحسان لسائر الناس بالقول؛ لأنه القدر الذي يكون عن اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسنا فقد أضمروا لهم خيرا، وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق" وقد بين القرآن الكريم في هذه الآية أن القول الحسن من الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام. فهو ميثاق وعهد للحفاظ على المودة والتآلف بين الناس.

- بيان أهميته في صد الشيطان ومنعه من أن يوهن حبال المحبة بين الناس ويفسد ذات البين، قال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾ (الإسراء: 53).

فالكلم الطيب يطفئ نار الخصومة مع المخالف ويحد من تطور الشر واستطارة شرره.

- بيانه أن أحسن القول والكلم الدعوة إلى الله تعالى، إذ يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33)، فالقول الذي يصعد إليه يحاج عن صاحبه يوم القيامة فيشهد أنه كان من الذين يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر دعوة إلى دين الله، وإقرارا بالاستسلام التام له سبحانه، واصطفافا في زمرة المصطفين الأخيار. وفي ذلك من الترغيب فيه ما يجعل أصحاب الهمم يتخذونه منهج حياة.

- التحذير من الكلمة الخبيثة باعتبارها نقيض الكلمة الطيبة وكشف ماهيتها وتفصيل تجلياتها والتمثيل لها مع تبشيع صورها والإشعار بمسؤوليتها وبواعثها ونتائجها. قال ﷻ: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار﴾ (إبراهيم: 26).

فالقرآن الكريم يقر بمناهج الإقناع والحجاج أن الكلمة الطيبة راسخة الأصل، وفيرة الثمار، لها تأثير على سامعها، وتآلف بين القلوب، ترفع العمل إلى درجة القبول فالنجاة، وقد تسفل بها إلى درك الطرد والعذاب، فيأمر الله تعالى بالكلم الطيب المقرون بالعمل الصالح بحيث لا يغني أحدهما عن الآخر، وفيه من الإشارة إلى ما يحمل على الحرص عليهما بتدبير أمور الدين كما تدبر أمور الدنيا، وتقوية الباعث بتذكر الجزاء مع الحذر من أن تكون الهمة كالصبي لا يزيده التحريك إلا نوما.

رمضانة

اعتكاف..

كانت تتوقع أنه سيختفي فجأة كما تعود ذلك منذ سنوات... رجته أن يترك لها مصروف البيت والعيال.. انفجر في وجهها غاضبا: "دائما أقولها لك.. أنت ضعيفة الإيمان.. إني أتركك لله.."!

بعد تجربة مُرة، صارت تدخر طيلة السنة ما تسد به رمقها وعيالها خلال غياب زوجها...

لم ولن تنس حين فعل ذلك أول عام من زواجهما حين وضعت طفلهما الأول...

اختفى دون علمها.. حملت رضيعها وهي تداري آلامها وهوانها وغربتها في مدينة كبيرة.. بحثت عنه في المستشفيات وعند الشرطة.. سألت عنه الجيران والأصحاب... استبدت بها الهواجس والقلق.. سلمت أمرها لله...

فكرت في اللجوء إلى أهلها، لكن هيهات هيهات؛ فكيف لها أن تصل إليهم من أقصى الشمال إلى قرية نائية في الجنوب؟!

لم تستطع حتى إخبارهم بالأمر.. لم تكن حينها خدمة الهواتف النقالة متاحة للجميع...

قضت رمضان تتضور جوعا.. نضب لبنها.. قض مضجعها بكاء رضيعها بسبب الجوع...

خرجت إلى الشارع للتسول.. لكنها استحيت أن تمد يدها للناس...

صارت تخرج كل يوم بعيدا عن حيها، تلتقط قطع الخبز الملقاة في القمامة لتسد رمقها...

فكرت في البحث عن أي عمل شريف، لكن حالتها الصحية لا تساعدها، ومن سيقبل بها وهي لا تبرح رضيعها لحظة...؟!

تضاعف قلقها حين تذكرت إيجار البيت البسيط، إن لم تسدد ثمنه، سيطردها صاحب البيت..

تحجرت دموعها في مقلتيها.. يختنق صدرها هما وغما.. يذبل صغيرها بين يديها.. لا يعلم شكواها إلا الله ﷻ...

فوجئت بعودة زوجها يوم العيد يكاد يطير سعادة.. فغرَت فاها وهو يصف لها أجواء اعتكافه في مسجد في قلب المدينة خلال العشر الأواخر من رمضان..!

بقلم:

ذة. نبيلة عزوزي

خروق في سفينة المجتمع

77 – رمضان كاشف الخروق

د. عبد المجيد بنمسعود

من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسيعرفني في يوم لا ريب فيه، أنا رمضان كاشف الخروق، بحوزتي أعظم جهاز لكشف البواطن وسبر الأعماق، يرسلني الواحد الديان على رأس كل عام قمري إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، لأطوف عبر كل الميادين، لأنزل بخفة روح، وشفافية ضمير، بالبوادي والحواضر والقرى، وأمسح البراري والبحار، تحفني ملائكة الرحمن، أعلن بصوت نوراني جهير، خبر المسابقة الكبرى التي تفتح أمام العموم، من غير تفريق بين غني وفقير، أو شريف وحقير، بين يدي الكريمتين لوائح البشارة والنذارة، وبطائق الفوز والفلاح، لكل عبد ملحاح، أنظر بعين بصيرة ناقدة، لا تفوتني واردة ولا شاردة. عملي الدؤوب أن أطرق الأبواب، وأفتش الحارات والدروب، أدل على مكامن الأحزان والكروب، لشد ما غمر صدري فرح كبير، وأنا أنظر إلى منسوب الإيمان وقد ارتفع بين أروقة سفينة المجتمع وطبقاتها، وإلى تناقص حالات التيه ومواطن الاختلال والأعطاب، التي ظلت تشكو منها في سابق الشهور، وأنصت إلى نبضها وقد سرت بين جنباتها نسائم الطمأنينة الاستبشار، آناء الليل وأطراف النهار، كيف لا وبصائر الكتاب قد أقبلت في موكب نوراني بهيج تزف بشائر العلي الأعلى الوهاب؟

لقد سجلت هذا العام بكل فخر واعتزاز، انعتاق كثير ممن كانوا مصفدين بأغلال المعاصي والذنوب، فعادوا من رحلة التيه القاسية يتنفسون الصعداء، ويحلقون في كل سماء.

وسجلت تكاثر نقاط الضوء في أديم الأرض التي طالما سطت عليها عصابات اللصوص، وجعلتها ساحة للبغي والطغيان، وناءت تحت أجنحة الظلام القاتمة السوداء، فراحت تتآكل فيها مظاهر المرض وجراثيم الوباء.

سجلت بحمد الله انجذاب الجماهير الغفيرة من مختلف الأعمار، نحو تلك النقاط المضيئة الزهراء، وقد طفقوا في سعادة وحبور، يتضرعون للواحد الديان، وينشدون إعادة الإعمار.

سجلت أيها الأحباب، ارتفاع منسوب اليقظة في أوساط القلوب، بعد أن أسرجت في جنباتها قناديل الصلاة، ومصابيح الأدعية والأذكار.

شاهدت حشود الشياطين البغيضة وهم يتغيضون حنقا ويتميزون شرا، ويتحسرون على استرجاع بعض ضحاياهم السابقين لوعيهم المسلوب، وعودتهم سالمين إلى الديار.

وشاهدت تجار الخبائث يذرفون مر الدموع على ركام تجارتهم التي كسدت هذه الأيام، ويخمشون وجوههم ويندبون حظهم، ويعلنون خسائرهم المنكرة، ويعترفون بعجزهم أمام خطتي العالية في التدبير، وقصورهم عن إدراك ما بحوزتي من حقائق وأسرار.

وقفت في تقدير وإجلال، أمام مواكب النساء، وقد جللتها شارات الحياء، وانزاحت عن وجوههن طبقات الزيوت الفاسدة، فعاد إليها الرونق والبهاء، وهمست في آذانهن برفق: أن دمن بارك الله فيكن على هذا النقاء، وإياكن إياكن أن تعرن أسماعكم وتسلسوا قيادكم للمجانين والبلهاء، ولمرضى القلوب من الأشقياء والتعساء، والزمن يا إماء الله ركن التقوى وشعبة الحياء.

سجلت بمداد الإعجاب والإكبار، تشوف البراعم لخوض تجربة الصيام، مقابل ما انتابني من شعور بالقرف والاشمئزاز، من صغار العقول والأحلام، وهم يطالبون بعلانية الإفطار، فواعجبا، وسبحان مكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار، سبحان العزيز الغفار.

جسست حالة الأمن في الطرقات والأحياء، فكشفت لي وسائل القياس، عن تحسن في النقاط، وارتفاع في المؤشرات، وأبلغ دليل على ذلك يا أخوات ويا إخوان، خروج النساء آناء الليل بكل سكينة واطمئنان.

قمت بجولة تفتيشية صارمة عبر الفضائيات، فتكشف لي أنها تنوء تحت ركام هائل من الزور والبهتان، عبرت عن شديد غضبي وسجلت احتجاجي، على ما لحق الإنسان من غاشم العدوان. فأجابني كبير الكهان: أليس يرضيك، أنني لم أدخر وسعا في إعداد أحسن البرامج والفقرات، إكراما لوفادتك، واستقبالا لحضرتك يا رمضان؟

لم أنس طبعا في هذه السياحة الشاملة، أن أتفقد أصحاب القبور، فسمعت أصواتا تصدر من أعماق الأعماق، وتصل إلى السموات الطباق، ولسان حالها يقول: نحن حديثو عهد بالرحيل، فوا حسرتا، ويا ليتنا شهدنا خير الشهور، فلم تسقط من شجرة أعمارنا آخر الأوراق.

من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسيعرفني في يوم لا ريب فيه، أنا رمضان كاشف الخروق، لو علمتم ما في من خير لتمنيتم أن تكون السنة كلها رمضان، كما قال خير العباد، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولجرت كل الأنهار بالماء المدرار، ولأينعت كل الحقول والثمار.

لو سارت الأمور وفق ما أعطيكم من إرشادات وتعاليم في كل عام، لكنتم على ما يرام، ولنقلتكم نقلة كبرى، تحظون فيها بالمجد وتنالون فيها السؤدد والعزة والاحترام.

ولكنكم للأسف الشديد ترتكسون، وفي حمأة الغرائز تنغمرون، وفي غيكم تسدرون، فإلى ما الهجر والإعراض يا مسلمون؟

هاأنذا لكم ناصح أمين، هبوا جميعا يا مسلمون إلى حصني الحصين، ولا تركنوا للظالمين، بلمسة صادقة، وجرعات شافية، يتجدد النسيج وينكشف المرض الدفين، ولو بعد حين.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: 24 – 25).

الميلاد المعاصر للإسلاموفوبيا

د. محمد عمارة

فور سقوط الشيوعية –التي مثلت العدو الأول للإمبريالية الرأسمالية الغربية على امتداد سبعة عقود– وبعد أن كان الغرب يسعى خلال هذه العقود السبعة لتوظيف الإسلام في صراعه ضد الشيوعية، التفت الغرب إلى الإسلام ليعلنه «العدو الأخضر» الذي حل محل «العدو الأحمر».

ويومها كتب الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» (1913 – 1994م) –وهو مفكر استراتيجي– يدعو في كتابه «الفرصة السانحة» إلى توحيد الغرب الديني والعلماني لمواجهة ما سماه «الأصولية الإسلامية» التي تدعو –كما قال– إلى:

1 – استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي، لاتخاذه هداية للمستقبل.

2 – والسعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

3 – واتخاذ الإسلام دينا ودولة.

وفي المجلة الفصلية المتخصصة «شؤون دولية» الصادرة في كمبردج» بإنجلترا عدد كانون الثاني/ يناير 1991م، قدم علماء الاجتماع دراستين عن «الإسلام والمسيحية» و«الإسلام والماركسية» جاء فيهما:

«لقد شعر الكثيرون في الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتي، و با لنسبة لهذا الغرض، فإن الإسلام جاهز وفي المتناول! فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن عما كانت من مائة سنة مضت، ولذلك فهو من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللا أدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك المجتمعات ماديا، فضلا عن هلاكها المعنوي».

ومنذ ذلك الحين، تبارى المفكرون الاستراتيجيون الغربيون في التحذير من الإسلام، وتأجيج نيران العداوة له، وإعلان الحرب عليه، فكتب «فوكوياما» يقول: «إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة في العالم التي ترفض الحداثة الغربية، ومبدأها الأكثر أساسية وهو العلمانية، وإن الصراع الحالي ليس ضد الإرهاب، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي ترفض الحداثة والدولة العلمانية، وهذا الصراع يمثل تحديا أيديولوجيا، وهو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية».

ولقد انضم فيلسوف صراع الحضارات «صموئيل هنتنجتون» (1927 – 2008م) إلى «فوكوياما» وأعلنا ضرورة قيام «حرب داخل الإسلام، حتى يقبل الحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة»!

وانضم الفاتيكان للحملة الغربية المعادية للإسلام، فأعلن الكاردينال «بول بوبار» مساعد بابا الفاتيكان: «أن الإسلام يشكل تحديا لأوربا والغرب عموما، وأن هذا التحدي يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين أن المسيحيين في أوربا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع»!

وأعلن المونسنيور «جوزيبي برناردیني» –في حضرة بابا الفاتيكان– «أن العالم الإسلامي لديه برنامج للتوسع في أوروبا وهو يريد أن يفتحها فتحا جديدا»!

هكذا كان سقوط الشيوعية هو ميلاد الإسلاموفوبيا!

بنبض القلب

ذ: أحمد الأشهب

يا باغي الخير أقبل

شهر تكلل بالضياء
فلا لهو ولا رفث
وبالذكر اشتهر
ليصرح ما لحقه الخبث
تفجرت قلوب المؤمنين
بالخير فلانت
فلا حقد ولا لغو ولا عبث

×××××

أشهر الفضيلة تمهل
فهاهنا قلب أضناه
التعب...
تعاقب الزمان عليه
حتى كاد يرديه الكرب
فامسح ما علق به
من شوائب العيش
فلا خوف ولا نصب

×××××

رب قد آتيتنا من
فيض عطائك فاغفر
لعبادك وأجزل..
أنت الكريم الذي
أجزلت العطاء
فلم تقلل..
فلك الحمد والمنة
ولك المرجع والموئل
فيا باغي الخير أقبل
ويا باغي الشر أقلل

الإناث يسيطرن على هرم أعلى معدلات الباكالوريا بالمغرب

كان لافتا أن تحصل الإناث على أعلى المعدلات في نتائج شهادة الباكالوريا لهذا العام، حيث سيطرت التلميذات على قائمة أفضل النقط، سواء في القطاع الخاص أو العام، وسواء على الصعيد الوطني أو على صعيد الجهات، بل انتقلت "عدوى" التفوق إلى المغربيات خارج البلاد أيضا.

وبلغت المعدلات المحصل عليها من طرف تلميذات مغربيات مستويات عالية في باكالوريا هذه السنة دون أن يتركن أية فرصة للذكور في اعتلاء قائمة المتألقين، فأميمة قصاب من مدينة بوجنيبة، حققت أعلى معدل بكالوريا في التعليم العمومي بـ19.21، ونهال شهبر، من القطاع الخاص بمراكش، حصلت على 19.32.

ونفس التألق سجلته تلميذات على مستوى أكثر من جهة من جهات المملكة، ففي جهة الشرق حققت تلميذة أعلى معدل في نتائج "الباك" في المنطقة، وأيضا في جهة سوس ماسة درعة جاءت تلميذة الأولى في نتائج السنة الختامية للثانوي، وهو الأمر ذاته في جهة الدار البيضاء، وغيرها من الجهات.

الفنيدق تحتضن ندوة بعنوان :رمضان وتزكية النفوس

نظمت جمعية اِقرأ للتربية والثقافة والأعمال والتنمية الاجتماعية،بمناسبة رمضان، ندوة تحت عنوان: رمضان وتزكية النفوس،وذلك يوم الإثنين 21 رمضان 1437ه بدار الثقافة بمدينة الفنيدق، وشارك فيها ثلة من العلماء والدعاة والمتخصصين في الدراسات القرآنية. واشتملت الندوة على عدة مداخلات أهمها ما يلي:

– مداخلة الدكتور سعيد بوعصاب تمحورت حول تدبر القران الكريم واثره في التزكية وقد تعرض في مداخلته لمفهوم التدبر ، والتزكية ثم مستويات التدبر ،ثم الوسائل المعينة على تدبر القرآن الكريم.

– واما مداخلة الدكتور هشام غبالو فكانت عن كتاب "الذريعة الى مكارم الشريعة" للراغب الاصفهاني واثره في التزكية حيث عرف بالمؤلف وبالكتاب وموضوعه ومنهجيته في التزكية.

– واما مداخلة الدكتور عدنان أجانة فكانت تحت عنوان "الخطاب القراني وأثره في التزكية" حيث عرف بالخطاب القرآني وخصائصه وأثره في التزكية.

صنداي تايمز: تعميد 300 مسلم في كنيسة بـ"ليفربول"

كشفت صحيفة صنداي تايمز اللندنية، عن تزايد أعداد طالبي اللجوء المسلمين، الذين يتجهون لاعتناق المسيحية، وتجنب ترحيلهم، والحصول على إقامة شرعية داخل بريطانيا.

وقال القس بيتر ويلكوكس، راعي كاتدرائية ليفربول، إنه قام بتعميد نحو 300 لاجئ في السنوات الأربع الماضية في كنيسة العنصرة في ليفربول منذ عام 2010.

وأضاف إنه "يتعين على المهتدين الجدد في ليفربول حضور دروس ودورات في المعمودية لمدة خمسة أسابيع، ونحن نتوقع منهم حضورها".

وأكد تقرير صنداي تايمز، وجود ارتفاع في عدد المسلمين الذين يريدون اعتناق الدين الجديد، مشيرًا إلى أن المعمودية يمكن أن تعزز إلى حد كبير آفاق طالبي اللجوء في الحصول على منطقة آمنة لحياته.

ويقول التقرير إنه فضلاً عن التحول إلى المسيحية في ليفربول، هناك معلومات عن تحول كثير من المسلمين إلى المسيحية في كنائس ستوكتون أون تيز ودورهام، وويكفيلد في مقاطعة يوركشاير ونيوكاسل.

74 مجموعة معادية للإسلام تنشر "الإسلاموفوبيا" في أمريكا

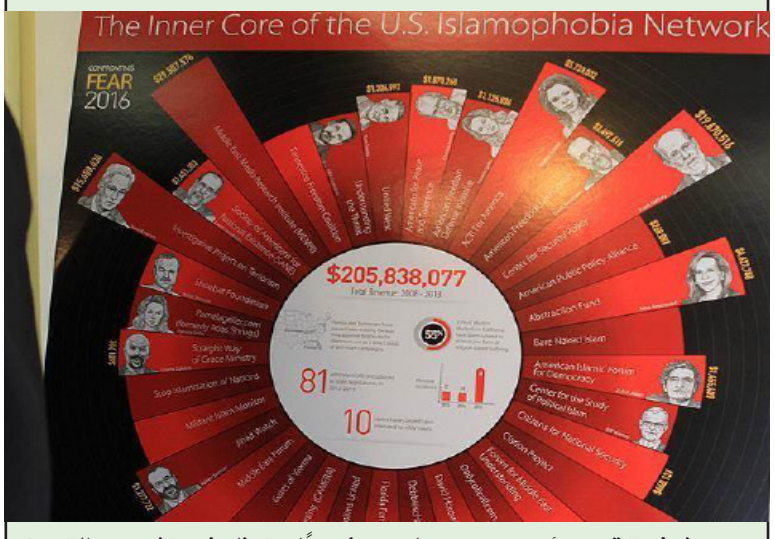

كشف تقرير أمريكي حول ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، أن هنالك 33 مجموعة في الولايات المتحدة لديها تمويلات وصل مجموعها ما بين عامي 2008 – 2013م إلى 205 ملايين دولار، وأن معاداة الإسلام وصلت إلى مستويات غير مسبوقة ومميتة.

ووفق التقرير المعنون باسم "مواجهة الخوف"، والذي ساهم في إعداده كل من مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير)، و"مركز العرق والجنس" في جامعة كاليفورنيا في مدينة بيركلي الأمريكية، فإنه توجد 74 مجموعة تنشر "الإسلاموفوبيا" في الولايات المتحدة، وأن من بين هؤلاء يوجد 33 مجموعة على الأقل تتخذ هدفًا رئيسيًا يتمثل في تشجيع التحيز والحقد على الإسلام والمسلمين.

كما تم استهداف 78 مسجداً، عام 2015م، وهو أعلى عدد للحوادث تم تسجيله خلال سنة واحدة منذ بدأت متابعة هذه الأحداث عام 2009م، فضلاً عن أن هناك قوانين معادية للإسلام في 10 ولايات أمريكية حتى هذا اليوم.

وقال نهاد عوض، المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية: إن "الإسلاموفوبيا" بلغت أعلى مستوياتها على الإطلاق، وقد بدأت تأخذ منحىً مميتًا، بعد أن أدت لمقتل عدد من المسلمين في السنوات الأخيرة، ولوحظ تكرار هجمات الكراهية وتخريب المساجد بكثرة.

سويسرا: إحصائية عن أعداد المسلمين

وفقًا لإحصائية أجراها المكتب الفيدرالي في كانتون "تشينو" السويسري الناطق بالإيطالية ، فإن عدد المسلمين بلغ ذروته خلال عام 2013؛ حيث سجل وجود 572.341 مسلمًا خلال العام، وانخفض إلى 338 ألف فقط في العام التالي.

من بين مسلمي الكانتون هناك 286.200 مسلم يحملون الجنسية السويسرية،

وفي عام 2014 وصل عدد المسلمين إلى 754.500 مسلم، بينهم الكثير من السويسريين أنفسهم، وبلغ عدد الذين يعملون 667.200، والآخرون بلا مهنة محددة أو عاطلين.

تونس تحتفي بمرور 1450 سنة على نزول القرآن الكريم

احتضنت تونس يوم الأربعاء 17 رمضان 1437 هـ/ 22 يونيو 2016 م بجامع عقبة ابن نافع (الفاتح الإسلامي لشمال إفريقيا) تظاهرة دينية بمناسبة مرور 1450 سنة على نزول القرآن على رسول الله (ص. وشارك في هذه التظاهرة حوالي 5000 حافظ للقرآن الكريم، حيث تمّ تكريم أكبر حافظ للقرآن الكريم تجاوز عمره المائة سنة ، وأصغر حافظ للقرآن وعمره 10 سنوات.

وأشرف على إحياء هذه التظاهرة الدينية رئيس الحكومة الحبيب الصيد وعدد من الوزراء بالإضافة لبعض الشخصيات الوطنية .

كما نظمت بالمناسبة أكبر مائدة إفطار لأكثر من 5000 شخص بساحة جامع عقبة ابن نافع.

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

من التفكير إلى التفكر (2)

قلنا إنّ القرآن الكريم يدعو، في سبعة عشر موضعا، إلى التفكّر، ويثني على المتفكّرين، ﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكّرون﴾ (البقرة: 129)، قال ابن عطية: "وأخبر تعالى أنه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم إلى الفكرة في الدنيا والآخرة، وذلك طريق النجاة لمن تنفعه فكرته". ويقرن كتاب الله تعالى التفكّر بطلب الحق، ويجعله سببا إلى الإيمان، ولزوم الطاعة والانقياد إلى الحق. ففي سورة سبأ، من الآية 46، يقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

فقد جاءت الدعوة إلى التفكّر، باعتباره الطريق الموصل إلى الحق، بعد إخلاص القصد، والقيام لله تعالى. وهذا من قريّ قوله ﷻ: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، التي هي أول ما نزل من القرآن، فإنّ القراءة لا تؤدي هدفها المرجو، ولا رسالتها المرسومة، ما لم تكن: ﴿باسم ربك﴾، إذ هي إذا لم تكن ﴿باسم ربّك﴾، لا يؤمَن أن يكون مآلها إلى الضلالة والخسران.

فكذلك لا يستقيم التفكر، ولا يؤدي وظيفته، ممن لم يجرد نفسه من الأهواء، والعناد، ولم يبد استعداده للانصياع للحق متى تبيّن له وجهه. ولذلك لم يكن فعل الوليد بن المغيرة تفكّرا، بل كان فكرا، لأنه كان منطلقا من الأهواء، ملتمسا ما يبطل به الحق، ولذلك قال تعالى فيه: ﴿فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر﴾، فهو يعرف الحق، إلا أنه جحودا منه ينكره، وهذا مثلما قال ﷻ: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (الأنعام: 33)، فالوليد يرمي كلام الله تعالى بما يعرف أنه باطل. وقد شهد لأصحابه ببلاغة القرآن الكريم، وهو في قرارة نفسه يقر بأنه كلام الله. فقد ذكرت كتب السير، "عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا! قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: "هذا سحر يؤثر". فقوله: فدعني حتى أفكر، قول صريح بأنه لا يريد الحق من وراء تفكيره، بل هو يلتمس الباطل الذي يرضي به قومه.

> **كذلك لا يستقيم التفكر، ولا يؤدي وظيفته، ممن لم يجرد نفسه من الأهواء، والعناد، ولم يبد استعداده للانصياع للحق متى ما تبيّن له وجهه**

والغريب أننا نجد بعض المفسرين، أثناء تعرضهم لآيات التفكّر، يضعون لفظ (التفكير) موضع (التفكر) دون أن ينتبهوا، أو يشعروا بأيّ حرج فيما يفعلون. وبعضهم يقول إن التفكر هو التفكير، وينتهي. وبعضهم يقول إن التفكر ظاهر المعنى، ويريح نفسه من التفكر في لفظ (التفكر).

> **الغريب أننا نجد بعض المفسرين، أثناء تعرضهم لآيات التفكّر، يضعون لفظ (التفكير) موضع (التفكر) دون أن ينتبهوا، أو يشعروا بأيّ حرج فيما يفعلون. وبعضهم يقول إن التفكر هو التفكير، وينتهي. وبعضهم يقول إن التفكر ظاهر المعنى، ويريح نفسه من التفكر في لفظ (التفكر)**

وحتى أصحاب التفسير الإشاري، فيما وصل إليه علمي، لم يقولوا شيئا في التفكر، فهم يجعلون التفكير والتفكر شيئا واحدا، رغم أننا لا نجد في القرآن الكريم: ﴿لعلكم تُفكّرون﴾.

وهذه نماذج لذلك:

قال السمعاني: لعلكم تتفكرون: ظاهر المعنى. وكذلك قال الماتريدي.

وقال القرطبي: فلو فكّر العاقل..

ويجعل الشوكاني: ﴿لعلكم تعقلون﴾ و﴿لعلكم تتفكرون﴾ شيئا واحدا.

الميرغني: ﴿لعلكم تتفكرون﴾ وبالتفكير ترشدون.

طنطاوي: لعلهم يتفكرون، فيحملهم هذا التفكير.

سيد قطب: لعلهم يتفكرون، وهي خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير.

ولكننا نجد بعض العلماء يتفكّر في آيات التفكر، فينص على بعض ما يميز اللفظة عن أختها، التفكير. فقد ربطوها بالتدبر والتأمل والتفهم، وما أحرى ذلك أن يكون قريبا من الحق.

قال الطبري: تتفكرون، أي تنظرون وتتفهمون. وقال أيضا: لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله تعالى فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامها، فتطيعوا الله به.

وجعل الفخر الرازي التفكّر قرين القلب والبصيرة، فقال: "والتفكر طلب المعنى بالقلب، وذلك لأن فكرة القلب هو المسمى بالنظر، والتعقل في الشيء والتأمل فيه والتدبر له، وكما أن الرؤية بالبصر حالة مخصوصة من الانكشاف والجلاء، ولها مقدمة وهي تقليب الحدقة إلى جهة المرئي، طلبا لتحصيل تلك الرؤية بالبصر، فكذلك الرؤية بالبصيرة، وهي المسماة بالعلم واليقين، حالة مخصوصة في الانكشاف والجلاء، ولها مقدمة وهي تقليب حدقة العقل إلى الجوانب، طلبا لذلك الانكشاف والتجلي، وذلك هو المسمى بنظر العقل وفكرته، فقوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا﴾ أمر بالفكر والتأمل والتدبر والتروي لطلب معرفة الأشياء كما هي عرفانا حقيقيا تاما". وظني، ومن الظن اليقين، أن الفخر رحمه الله لم يقل: "أمر بالفكر"، بل قال: "أمر بالتفكر"، وإنما التحريف من النساخ، أو من المحققين.

أبو زهرة: لتتفكروا: لأن ذلك من شأنه أن يرجى معه تفكر المتفكر وتدبر المتدبر، ولذلك قال بعض العلماء: إن لعل هنا للتعليل، فالمعنى كان ذلك البيان لتتفكروا وتتدبروا.

وجعل السيوطي التفكّر والتدبر شيئا واحدا.

وفصل ابن عثيمين بعض التفصيل فقال: فالإنسان مأمور بالتفكّر في الآيات الكونية، والشرعية؛ لأن التفكر يؤدي إلى نتائج طيبة؛ لكن هذا فيما يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه؛ أما ما لا يمكن الوصول إليه بالتفكر فيه فإن التفكر فيه ضياع وقت، وربما يوصل إلى محظور، مثل التفكر في كيفية صفات الله ﷻ، هذا لا يجوز؛ لأنك لن تصل إلى نتيجة؛ ولهذا جاء في الأثر: «تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله»؛ لأن هذا أمر لا يمكن الوصول إليه؛ وغاية لا تمكن الإحاطة بها، كما قال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (الأنعام : 103).

وعودا على بدء أقول: إن الله تعالى أمر بالتفكّر، وجعله من العبادة، وسبيلا إلى ترسيخ الإيمان، والتفكّر لا يكون إلا بجلاء القلب، وتصحيح القصد. وإن هي إلا دعوة إلى التفكّر، والله من وراء القصد، وهو العليم الخبير.

إلى أن نلتقي

حينما يدرك العقلاء مغزى الصيام

تداولت عدد من وسائل الإعلام في بداية هذا الشهر الكريم خبرا عن صوم أحد النواب البرلمانيين في كندا لشهر رمضان بالكامل للسنة الثانية على التوالي رغم أنه ليس مسلما، وذلك بسبب اعتقاده أن الصوم "يعدّ تجربة لا توصف"، وأنه "يريد أن يفهم بشكل أفضل كيف يحس فقراء العالم بالجوع... ومن ثَمّ استخدام قوة شهر رمضان لمساعدة الآخرين"، مؤكدا أن تجربة الصوم علمته الإحساس بالجوع الذي يعاني منه الكثير من الفقراء، الذين لا تتوفر لهم فرص الأكل خلال اليوم، ممّا يفرض عليهم الصمود طيلة اليوم.

ونشر هذا النائب على حساباته بالشبكات الاجتماعية، شريط فيديو لمداخلته بالبرلمان الكندي يوم الثالث من شهر يونيو، هنّأ في بدايتها المسلمين في كل أنحاء العالم بشهر الصيام، ثم بين أنّ الهدف الأساسي من صومه لشهر رمضان هو دعم مبادرة المنظمة غير الربحية "Give 30"، التي أسسها عام 2012، لمحاربة الجوع داخل كندا وعبر العالم، مشيرا إلى أن توفير النقود التي يصرفها كل واحد طيلة شهر رمضان في وجبات الغداء والفطور، يمكن منحها للجهات التي توفر الطعام للمحتاجين.

وتجربة هذا الوزير الكندي لصوم شهر رمضان ليست الوحيدة ولا الفريدة في بلاد غير المسلمين، فهناك العديد من الأشخاص غير مسلمين في العديد من المناطق صاموا أو يصومون أياما، بل وربما شهرا بأكمله تضامنا مع المسلمين، وخاصة في الأماكن التي توجد فيها جاليات إسلامية، ويحكي هؤلاء تجاربهم النفسية والعضوية الفسيولوجية والاجتماعية، وهي تجارب في كل الأحوال يعدونها محمودة ومتميزة، وقد قادت عددا منهم إلى اعتناق الإسلام بسبب ذلك.

معنى هذا أن تجارب غير المسلمين مع الصوم كانت بدوافع عديدة ولأسباب كثيرة، وكان القاسم المشترك في ذلك هو التضامن مع المسلمين أو التأثر بسلوكهم. وإن كانت تجربة النائب الكندي متميزة من حيث الهدف والمغزى: الإحساس بالجوع، والتضامن مع الفقراء والجائعين، وتوفير مصاريف أكل سائر اليوم لمنحها للجهات التي توفر الطعام للمحتاجين.

وأنا شبه متأكد بأن هذا النائب الرجل العاقل –وقليل ما هم– سيدرك في يوم من الأيام قيمة شهر الصوم الروحية فيعتنق الإسلام ويدعو إليه.

لكن ليست هذه هي القضية المطروحة، فالقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، ويهدي من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم، ولكن القضية هي واقع شهر الصوم في بلادنا؛ بلاد الإسلام، وليس في كندا أو غيرها...

حينما يحل شهر الصوم في بلادنا يتجمع أجناد الهوى والنزغات فينادون بالإفطار العلني، ويجاهرون بذلك، وكأن المجتمع ليس مجتمعهم، والبلاد ليست بلادهم، والتاريخ ليس تاريخهم. لنفترض أنهم غير مسلمين كما يعلنون تصريحا أو تلميحا، أو أن ذلك حق من حقوقهم، لكن لِمَ لا يأكلون في بيوتهم ويصرون على المجاهرة بالأكل نهارا جهارا في الشارع العام؟ مَن الذي يمنعهم مِن ذلك؟ بل إنهم يفعلون ذلك دون أن يشوش عليهم أحد، ويأبون إلا أن يشوشوا على الصائمين في وضح النهار ووسط الطرقات. مع أن الأصل أن الصائمين هم أيضا لهم الحق في أن يصوموا بارتياح دون تشويش وضجيج؛ لأنهم هم الأغلبية المطلقة، وهم في بلادهم متمسكين بدينهم وحضارتهم. أليس في هؤلاء رجل رشيد يدعو بني عقيدته إلى التضامن مع بني وطنه فيكفوا ألسنتهم عنهم؟ ألا يكون سلوك النائب الكندي قدوة لهم في وجه من الوجوه؟

ثم لِنَعُد إلى ذواتنا نحن الصائمين إيمانا بفريضة الصوم، ولنقارن أفعالنا في شهر الصيام بفعل النائب الكندي، ولننظر هل وفرنا ثمن الفطور والغداء لإطعام الجائعين، أم أننا ضاعفنا ثمن ما نأكله أيام الفطر، لنجعل أيام شهر الصيام مآدب تكون فيها موائدنا ملأى بما يؤكل وما لا يؤكل، ومتاجرنا مكدسة بما هو آتٍ من الداخل ومن وراء البحار، بل وحتى زبالاتنا لم تسعها الحاويات المخصصة لها، فأصبحت تزكم الأنوف هنا أو هناك خاصة مع موجة الحر الحالية.

أليس من الدين –ونحن الصائمين إيمانا بفريضة الصوم– أن نفعل كما فعل النائب الكندي فنقتصد في الأكل ونوفر ثمن مصروف اليوم لمساعدة المحتاجين والجائعين والخائفين في بلادنا وفي بلاد الله كلها؟ أو أن نؤسس مشاريع بفضل ما وفرناه في الشهر الكريم، وتكون باسم هذا الشهر تيمُّنا وتبركا؟ هذا فضلا عن أن ذلك سيرفع من درجة إيماننا ويعزز من صحتنا البدنية !!.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني